

بين الكدروالاختيار، في العلاقة الزوجية (ملاحظات سريرية)
Between choice and distress, in the marital relationship (clinical observations)

عبد الكريم صحراوي^{1*}، عبد الفتاح ابي ميلود²

¹ مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات المعرفية وسوسيو عاطفية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)،

a.sahaoui@lagh-univ.dz

(<https://orcid.org/0009-0004-3959-0930>)

² مخبر علم النفس العصبي والاضطرابات المعرفية وسوسيو عاطفية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)،

abimouloud.abdelfatah@univ-ouargla.dz

(<https://orcid.org/0009-0009-4760-9538>)

تاريخ القبول: 2024/12/12

تاریخ الإستلام: 2024/11/05

ملخص:

يعتبر الاختيار مرحلة حاسمة في حياة الإنسان قبل الزواج، وتتعلق هذه المرحلة ببعض الخصائص النفسية الداخلية التي يجب أن يتمتع بها الفرد أهمها النضج الجنسي والنفسي، ثم بعض الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، بعد الزواج قد تمر العلاقة الزوجية بأوقات صعبة وازمات قد تدخله (الزوج) بتراكمتها في حالة كدر زواجي، والذي يعتبر معاناة تتكون من مجموعة من الصعوبات خاصة في الاتصال والتبادل والاشباع.

ونتيجة للعمل العيادي والممارسة العلاجية المتواصلة، وجدت أن هناك الكثير ممن يعانون حالة كدر زواجي سببه الاختيار وسوء الاختيار أو الندم على الاختيار، مهما كان نوعه، اختياراً مرتباً من طرف الأسرة أو آخر، أو اختياراً شخصياً.

فما هي العلاقة بين الاختيار للزواج والكدر الزوجي؟ وماهي الخصائص النفسية التي يجب أن يعيها الفرد قبل الزواج للاختيار؟ والتي يجب أن يأخذها بعين الاعتبار كذلك المهتمون بعلاج الزوج والأسرة.

الكلمات المفتاحية: الزواج؛ الزوج؛ الخصائص النفسية الداخلية؛ الاختيار للزواج؛ الكدر الزوجي؛ التراكبات الصراعية.

Abstract:

Choice is considered a crucial stage in a person's life before marriage. This stage is related to some internal psychological characteristics that the individual must possess, the most important of which is sexual and psychological maturity, then some social, cultural and economic characteristics. After marriage, the marital relationship may go through difficult times and crises that may enter him (the couple) with their accumulations. In the case of distress in my marriage, this is considered a suffering consisting of a set of difficulties, especially in communication, exchange, and satisfaction. As a result of clinical work and continuous therapeutic practice, I found that there are many who suffer from marital distress caused by choice, poor choice, or regret over the choice, whatever its type, whether a choice arranged by the family or another, or a personal choice. What is the relationship between choosing to marry and marital distress? What are the psychological characteristics that an individual must be aware of before getting married to choose? This should also be taken into consideration by those interested in treating the husband and family.

Keywords: marriage, couple, internal psychological characteristics, choice for marriage, marital distress, conflict accumulations.

*
عبد الكريم صحراوي

1. مقدمة

يعتبر الزواج ضرورة طبيعية لاستمرار النوع مهما تنوعت واختلفت نظمه، لما فيه من حاجات بيولوجية جنسية ملحة لا يمكن أن تشبع إلا في إطار الزواج.

والزواج في المجتمعات الإسلامية هو الطريقة الشرعية لتنظيم كل المسائل الجنسية، ويطلب من الزوجان أن يشتركا في إسعاد بعضهما البعض، بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وكما هو معلوم في علم النفس العيادي أن السعادة مفهوم يشير إلى اللذة والابتعاد عن الألم، وتشير كذلك إلى وجود إشباع متبادل، واللذة والإشباع يلزمهما موضوع حب واهتمام، والموضوع في علم النفس العيادي هو الأم (موضوع الحب الأولي)، وموضوع الحب الثانوي هو الشريك في الحياة (الزوج).

ورحلة البحث عن هذا الموضوع الثانوي قديمة قد تبدأ منذ البلوغ، حيث يبدأ الفرد في الاستعراض للظفر بالاهتمام أو الحب، وقد تكون مملوءة بالإخفاقات والتغيرات، ولا يستقر على معايير واحدة حول الشريك ومواصفاته وكيف يكون اختياره، والاختيار يتم حسب عده شروط واحتياجات قد تكون مرتبطة بالمجتمع والدين والثقافة... ولكنها في أكثر الأحوال قد تكون مرتبطة بالجانب النفسي الداخلي للفرد، فمرحلة اتخاذ القرار مرحلة صعبة وحاسمة، لأن الهدف سام وخلاق، وكل العناصر التي تتدخل في اتخاذ القرار في الاختيار سواء كانت داخلية أو خارجية، فهي التي قد تحكم على الفرد بسعادته أو تعاسته في الزواج، وعليه وجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه المرحلة المهمة وهي مرحلة الاختيار للزواج، ونحاول أن نعرفها ونفهمها وحتى مناقشتها مع المقبل على الزواج لكي لا يخيب ظنه وتضيع آماله في الزواج، وينشأ عن ذلك ما يسمى بالكدر الذي قد يؤدي في حالات كثيرة إلى إنهاء العلاقة الزوجية بالطلاق.

في هذا المقال نؤكد على أهمية هذه المرحلة قبل الزواج وعلاقتها بالكدر. وسنحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

ماهي الخصائص النفسية الداخلية التي تتحكم في الاختيار للزواج والتي قد توجه وتتحكم في المعايير الخارجية كالمعايير الثقافية والدينية والاقتصادية والاجتماعية...؟ وما هي علاقته بالوقوع في وضعية الكدر في العلاقة الزوجية؟

حين يمكن فهم العلاقة الزوجية والزواج وإدراكه من حيث غايته، وفهم متغيراته والعوامل التي تتحكم فيه، حينها نتوصل إلى مواجهة معيقات دوامه، لأن الأصل في الزواج هو الدوام، كما يجب أن يعلم المقبل على الزواج أن هناك شروطا وأبعادا للقيام بذلك وهذه الأبعاد هي التي تحدد دوامه، ومنها الأبعاد النفسية والمرتبطة بالنضج الجنسي والنفسي، وفي الزواج فقط تتحقق الأسرة، والأسرة هي المحيط الذي يبني فيه الفرد علاقاته الأولى، وبهذه العلاقات يحقق الاستمرارية في كل العلاقات المستقبلية. وقبل أن ندخل في موضوع الاختيار للزواج، يجب أن نخرج قليلا على أهم المفاهيم في الحياة الزوجية.

1- معنى الزواج:

هو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الدينية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية، وهو الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية وتحديد مسؤولية صور التزاوج الجنسي عند البالغين (الخولي، 1983، صفحة 56) ومن الجدير بالذكر أن جميع المجتمعات كانت تفرضه عند

البالغين، فهو نظام عام. ولعل أحدث معاني الزواج هي التي ترى أن الزواج والعلاقات الزوجية مرتبطة بالأنا، أي متعلقة بالإنسان ولهذا فالإنسان هو وحده المسؤول على نجاحه أو فشله.

وفي الحقيقة لا يوجد تعريف موحد للزواج إلا أنه يعرف على أنه "ظاهرة لعلاقة قديمة لها تاريخ أنثروبولوجي مؤسسة كانت أم غير مؤسسة وهي التي تخلق جوا عاطفيا يسمح بتأسيس علاقة بين شخصية تهدف إلى سعادة الإنسان" (Géraud , 1967, p. 13) وتعطي هذه العلاقة للزوج وجهة أو طريق يجب أن يتبعها لتحقيق الوجود والضمأن وهو تحقيق لطبيعتين وحريتين الذي من خلالها يكتشف الفرد الآخر (الذكر والأنثى) وهي من المفروض أن تكون مستديمة. وهذه العلاقة المستديمة كما سماها "جيرود" ترتبط بمستوى درجة النضج والتوازن العاطفي ودرجة من الحرية في العلاقات والاتجاهات والمواقف". (Géraud , 1967, p. 136)

ويقترن مفهوم الأسرة بالزواج أحيانا حتى أن هناك ميلا لاستخدامها في نفس الوقت يشير إلى نفس الشيء، لكن الأسرة شيء والزواج شيء آخر، فالأسرة هي مفهوم يجمع بين الزواج والإنجاب، وتشير كذلك الأسرة على مجموعة من الأدوار والمكانة المكتسبة عن طريق الزواج والإنجاب، ومنه فإن الزواج شرط أساسي لقيام الأسرة (الخولي ، 1983 ، صفحة 56). فإذا كانت الأسرة مؤسسة اجتماعية لبقاء الإنسان، فإن الزواج هو المقدمة الحضارية والمنطقية التي تسبق تكوينها في معظم المجتمعات البشرية (السبيعي ، 1985 ، صفحة 99) والزواج هو ضرورة بيولوجية ونفسية واجتماعية، وهو يتطلب النضج، وما أن ينتهي الفتى من المراهقة ويستقر وضعه المادي أحيانا، حتى نراه يفكر في الزواج.

ومعلوم أحيانا أن الزواج يسبقه عاطفة حب وفي هذا يقول "أدلر" "أن الحب وحده لا يستوعب متطلبات الزواج لأن الحب متعدد الألوان، وهو لا يترك الزواج يكون ناجحا أم فاشلا، إلا إذا كان هذا الحب قائما على أساس واع وثابت من المساواة في الاعتبار والاحترام بين الشريكين كما يؤدي إلى تكامل العلاقة بينهما (السبيعي ، 1985 ، صفحة 112) فالزواج أوسع من الحب، وهو يقتضي أمورا كثيرة أهمها: الحكم الموضوعي على أن الشريك يصلح ويناسب لكل طرف، وتوفر العزم الإرادي والرغبة الواعية بالعيش معا وتوفر روح المسؤولية وتحمل نتائج الزواج وضمأن متطلباته ومقتضياته المادية والمعنوية، ويمكن أن ننهي بتعريف شامل هو "أن الزواج اتحاد زوج راشد واع ومستقل يستطيع توجيه رغباته الإيجابية للآخر، ويكتسب نوع من الاحترام والحرية وشخصية الآخر". (Géraud ، 1967 ، صفحة 143)

2- لماذا يتزوج الناس؟

لا يحدث الزواج بصورة طبيعية تلقائية كما أنه قد يكون نتاجا لأنماط سلوكية وراثية تسمى الغرائز، وهو نظام يشمل على مجموعة من العادات والتقاليد والاتجاهات والأفكار، والغريزة الجنسية هي واحدة من العوامل الجوهرية التي تقوم عليها أسباب زواج الأفراد، فالناس يتزوجون لأسباب عديدة، منها تبادل الحب مع شخص آخر، البحث عن الأمن الاقتصادي، الرغبة في حياة المنزل و الأولاد، الأمن العاطفي، تحقيق رغبة الوالدين، الهرب من أوضاع غير مرغوب فيها في منزل الأسرة... وفي بعض الأحيان يتزوج الناس لأن معظم أصدقائهم تزوجوا ولا يرغبون في البقاء بمفردهم دون زواج، "وعموما فإن الناس يتزوجون لأن الزواج هو النمط الاجتماعي الذي يجد قبولا واسعا ومشروعية لإقامة علاقة بين الجنسين، والتعاون من أجل الإبقاء على الحياة والرغبة في الوالدية والحياة المنزلية، كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج" (الخولي ، 1983 ، صفحة 142) ، ولهذا يبحث كل فرد على الزوج الذي يلائمه ويرضيه، كما يفشل الكثيرون في الحصول على الزواج الذي يستطيعون الاستمرار فيه.

وكثيرا ما نرى أن الفتيات يتزوجن لمجرد أخريات في المحيط صديقاتهن قد تزوجن وهن لا يردن أن يكن آخر من يتزوجن، وأنهن يعتقدن أنه كلما تأخر زواجهن كان دليلا على أنهن أقل جمالا وجاذبية ممن تزوجن فعلا.

وعليه سواء توفر بسبب أو آخر في الاتجاه نحو الزواج، إلا أنه يتوقف على مدى نجاح الفرد أو فشله في استمرار العلاقة الزوجية، فالزواج الناجح هو الشعور حقاً بالمسؤولية، ويحتاج من يحرس على استمرار العلاقة الزوجية، وذلك يعتمد على كل من الشريكين على أن يتحدا في ذاتهما، لا يجب أن يكون الفرد أنانياً له كبر أو يحس بسلطة على الآخر" (السبيعي، 1985، صفحة 117)، وقبل كل ذلك يجب أن يحس المقبل على الزواج على أنه يقدر ويحس بمعنى الزواج وقيمة الحياة في شراكة، فما هو الزوج إذن؟

2-1- الزوج:

الزوج هو التقاء فردين من جنس مختلف نساء ورجال (Lemaire, 1980, p. 17). وهناك الزوج من جنس واحد، الذي أصبح يتداول في الآونة الأخيرة في بلدان أخرى، والذي مشروعا في الدول الغربية، إلا أن الزوج من الجنس المخالف هو الذي منتشر أكثر في ربوع العالم (Lemaire, 1980, p. 18) وأحيانا ما يكون هذا الزوج من الجنس المختلف مستقرا، وأحيانا أخرى لا يكون كذلك لعدة اعتبارات منها أنه (الزوج) يرفض أصلاً فكرة الزواج. وفي الحالات الشائعة يكون الزوج له إمكانية الاستمرار في العلاقة لأبعد الحدود بإرادة متكافئة أو على الأقل تكون أهدافه الاستمرارية المتمنة من كلا الشريكين، إذا حدث وأن وقع انقطاع في هذه العلاقة فلأن ذلك ناتج من معاناة أو الإحساس بالفشل.

الزوج الذي نحن بصدد تعريفه يتكون من رجل وامرأة، تربطهما علاقة عاطفية (زواجية) من المفروض أنهما يشتركان في الكثير من الخصائص والمواقف والاتجاهات... لكي يستطيع هذا الزوج أن يستمر بفضل هذه العلاقة يستطيع أن يكشف الواحد الآخر ويحقق الشريكين رغباتهما الإيجابية، ومنه فإنه يعتبر تحقيق للوجود الإنساني، وهذه العلاقة ويرتبط أكبر عنصر أو أهم عنصر في استدامة الزوج بإشباع الرغبة الجنسية لكلا الطرفين، وأن تكون الحياة الجنسية فيها مشبعة ومتوافقة ومتبادلة، والحياة الجنسية تتمثل في العاطفة، الاحترام المتبادل لكل فرد، ولأن الجانب الجنسي في قيام الزوج هو الشرط التاريخي لها (Géraud, 1967, p. 181) إضافة إلى وجود شروط أخرى هي الشروط الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية والدينية، والزوج الذي يسعى إلى هذه العلاقة يجب أن يكون شاعراً بالمسؤولية والوعي والنضج النفسي والجنسي، واكتساب جانب من التربية والاحترام للغير لكي يستعد من المفروض إلى الأبوة، فما هي إذن؟ وكيف ينمو هذا الشعور أو يكتسب؟

2-2- الأبوة:

إن الأبوة لا تبدأ منذ الولادة، لكنها تنمو بالإدراك بأن الفرد رجل لعدة اعتبارات وقد مر بعدة مراحل تطور نفسوجنسية، ومن ثمة هناك تطور فيزيولوجي، ويبدأ ميكانيزم الأبوة في مرحلة نهاية مرحلة الكمون وبداية المراهقة، وبداية الشعور بإقامة علاقة ودية مع جنس آخر مختلف (الأنثى)، بحيث يبدأ الشعور بالرجولة تجاه الجنس الآخر، وتعطى أهمية كبرى لوجود الأبوين (الأب والأم) في تكوين ونمو هذا الشعور، لأن وجودهما واستثمار الابن لهما هو الذي يصل هذا الشعور.

فالصورة الوالدية أساسية في كل مراحل النمو، حيث يكون الطفل خاصة في مرحلة المراهقة، فرد اجتماعي له علاقات خارج المنزل وداخله (Géraud, 1967, p. 103)، حيث يكون الزوج المتمثل في الأب والأم، يلقيان ما هو ثقافي اجتماعي ونفسي خاصة لأبنهما، وذلك بالتحويل عن طريق استثمار الطفل لهذه الخصائص في تقمصها وبستدخلها لكي تسهل عليه العيش في حياته المستقبلية "لأن الأب خاصة لا يكفي أن ينقل اسمه لابنه، بل حتى ثقافته، معرفته، صوته وكلامه وعلاقته الخارجية" (Géraud, 1967, p. 106)

وتكون هذه الخصائص بمثابة نماذج يتخذها المراهق ليدخل إلى مرحلة الرشد، إذن فالأب هو النموذج الأول للحقيقة أو للواقع. وكل دخول إلى الواقع يمر بالأب. كما يلون الأب كل ما هو مجنس (Sexuée) خلال المراهقة، وأن الرجولة متجسدة فيه هو، ويجب أن تؤخذ، والطفل يكون على علم بهذا منذ المرحلة قبل

أوديبية، ويجب أن تتجسد فيه لكي ينجح في ذلك، ولكي يصبح المراهق رجلاً بمساعدة الأب، وقد تكون الصورة الوالدية في مستقبل المراهق مرهونة بهذه النماذج "إن سلوك الطفل الاجتماعي، الأخلاقي، السياسي والعائلي مرتبط كثيراً بهذه الصورة (Géraud , 1967, p. 107) " ويقول "كلوديل": "أن أي أبوة مؤقتة- لأن هذا مرتبط بالطفولة، طفولة أي فرد، أي عرقلة للنضج النفسي في الطفولة- يعود إلى نوع العلاقة الزوجية" (Géraud , 1967, p. 108)

ونرى ذلك جلياً في العلاقة الزوجية أو في الزواج، حيث تظهر باثولوجيا الأدوار الوالدية بحيث نجد ذلك بين الأزواج، بحيث يمكن أن يكون والد متماه (Identifiable) (موضوع التماهي) بدون أن يكون موضوع الحب في ظل العلاقة الزوجية، ونفس الشيء بالنسبة للبنات التي تتقمص لأُمها بهدف الحب المستقبلي لرجل يشبه أبها، لكن ينبغي على البنت أن تحدد التماهيات للأب نفسه، لكي يسمح للتطور اللببيدي الأنثوي أن يكون سويًا، وبالنسبة للذكر فالتطور النفسي في أبوته أو رجولته المستقبلية، يجب أن لا تكون فقط إعادة لإسقاط قديم بينه وبين أبيه، يجب أن تكون الصورة الوالدية في الأعلى، وإن نوعية الوجود هي الأهم وليس كميتها. (Géraud , 1967, p. 109) وفي الأخير، إن فترة الانتقال إلى الأبوة هي فترة التحول النفسي وإعادة ترتيب الأدوار وبداية تكوين الأسرة.

3-2- الأمومة:

الأمومة مثل الأبوة، فهي شعور تحس به الأنثى وتدركه بعد فترات من النمو، والتطور النفسي، الذي تمر به خلال حياتها، وهي ظاهرة بيولوجية موجودة عند كل الكائنات (الحيوان والإنسان)، وكل امرأة تحمل في شخصها الجسدي والنفسي هذه التحولات التي تؤدي إلى هذه الظاهرة البيولوجية التي تغير في حالتها. وهو حدث فردي تستقبله كل امرأة بحد ذاته انفعالي شخصي وارتباط ذلك مع تاريخها أو ماضها في وضعية حالية.

(Géraud , 1967, p. 132)

فالأمومة، هي فعل اجتماعي وكل مجتمع يعرفها حسب مواقفه المكيفة واتجاهاته وأخلاقه وقوانينه التي يستلزمها على أفرادها. فالأمومة هي الكل، أي هي ظاهرة اجتماعية، بيولوجية، نفسية، فيزيولوجية، والمرأة الراشدة تعيش الأمومة مثل خبرة لها قيمة وغنية أي إيجابية، أو كخبرة مكرهة مرتبطة بجنسية غير مقبولة، وهي تدفعها إلى الشكوى والشعور لتفكك في شخصيتها، وتتطور هذه الآلية بالوضع الأول للزوجة، وتحس بالفقدان الفيزيولوجي لرحمها وتعيش من جديد حالة صدمة لأنها كانت تتصور أن هذا الحمل هو جزء من جسدها وحدث الانفصال، وتعيش الانفصال كحالة فقدان جديد حدث في حياة الطفولة القديمة (Géraud , 1967, p. 223) وهنا يظهر لنا حدث الولادة والذي يزيد من الحدث الأمومي للأنثى.

إن الانتقال إلى عهد الأمومة يستدعي تغيرات هامة في سلوك الزوجة، بل أنه بمرور الزمن يتطلب أنواعاً عديدة من التوقفات الهامة والجوهرية.

إن الدور وما يفرضه من متطلبات، وما يلقي على كاهل الأم بسببه من مسؤوليات، قد يؤدي إلى إصابة الأم الحديثة بنوع من القلق والشعور بالانشغال الشديد، ذلك أنه من خلال الرعاية اليومية للوليد، فإن الأم يجب أن تتخذ قرارات دائمة، إلا أنه بسبب عدم خبرتها قد تكون هذه القرارات خطيرة على الطفل، ومن ناحية أخرى فإن النساء قد يواجهن مشاعر متصارعة حول دور الأم، هل تعني به وتربيته وتكون معه في معظم الوقت، أو أن تتركه للرعاية من طرف آخرين (الأب، الحاضنة...)، لأنه ضناً منهن أن هذا يحد من حرياتهن. ونادراً جداً ما ترفض المرأة الزواج، بل إنها تسعى إليه في مجتمعنا، لأنه يشكل الشكل الوحيد والشرعي والقانوني والأخلاقي الذي يمكن أن تعيش اقتصادياً، وتحس به اجتماعياً وترضى جنسياً (السعداوي ، 1994 ، صفحة 126).

إن الزواج، قد اكتسب نوعاً من الحماية الدينية وأصبح مقدساً، ولم يعد تقريباً لأي امرأة أن ترفضه، فالمرأة يجب أن تتزوج لأن ليس لها الاختيار في الزواج أو عدمه، لأن المجتمع لا يقبلها ولا يحترمها بدونها. (السعداوي، 1994، صفحة 127)

3- الاختيار الزواجي:

إن عملية الاختيار الزواجي، هي الطريقة الوحيدة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج، وهناك بعض الإجراءات المتفق عليها في جميع المجتمعات لابد من إتباعها لإتمام الزواج، إلا أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع لآخر، ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج أن يسهما في عملية الاختيار، وفي هذه الحالة توجد درجة من الاختيار الشخصي بين طرفي الزواج، أما في حالة الزواج المرتب، فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القربية بوجه عام، وفي بعض الظروف لا يلقي العريس عروسه قبل يوم الزفاف، إلا أن هذا الوضع أصبح نادراً في الوقت الحالي (الخولي، 1983، صفحة 149)

والاختيار للزواج هو عملية اتخاذ القرار، وهذا ما يوقع الإنسان في حيرة، وهنا تدخل شخصية الفرد فهو بمثابة "رد فعل لا يستطيع الإنسان إلا على أساس من إمكانيات شخصيته التي اكتسبها من تجاربه الشخصية وخبراته السابقة" (الساعاتي، 1981، صفحة 212) وكما نعلم أن الشخصية تنمو وتتطور منذ الولادة، ويمر الإنسان بعدة خبرات نفسية وأزمات عبر مراحل تساعد على أن يكون فرداً يستطيع أن يقرر وأن يختار، وتتوقف هذه العملية على درجة حل وتجاوز هذه الأزمات والمراحل، وعلى نوع العلاقة مع الوالدين ومدى استثمار الفرد لهذه العلاقة ووجودهما نوعياً وليس كيفياً في تصوره، كل هذا يساعد على الاختيار.

4- بعض النظريات المفسرة للاختيار الزواجي:

معظم النظريات التي فسرت هذه المرحلة هي في أصلها تحليلية ولكن حبذا و ذكرها، والجانب التحليلي في هذا المجال مهم جداً، والذي يدخل فيه البعد اللاشعوري الذي لا نعطي له أهمية كبيرة، لكنه بلا شك يلعب دوراً هاماً في عملية الاختيار، فهناك أسلوبان أساسيان في اختيار شريك الحياة، فقد يكون الاختيار مرتباً بمعنى أن الأسرة هي التي تختار لابنها الزوجة التي سيرتبط بها، أما الأسلوب الثاني فهو الاختيار الفردي وهو عبارة عن عملية سيكولوجية يؤديها الفرد عندما يحدد موضوع حبه معتمداً على بعض العوامل الاجتماعية والأخلاقية والنفسية والتي يراها هو جديرة بهذا الاختيار على أن تتقدم الأسرة بعد ذلك لإتمام الزواج،

كالقرب المكاني، فعادة ما يختار شريكه من البيئة التي يعيش فيها أي بين الزملاء أو الجيرة أو الأقارب، فقد تبين من الدراسات العديدة التي أجريت في هذا المجال أن الناس يتزوجون ممن يلتقون بهم وهؤلاء يعيشون عادة بجوارهم سواء في السكن أو العمل، وتبين أيضاً أن للقرب المكاني أهمية وظيفية في اللقاء والتعارف الشباب ومرجع ذلك إلى أنه الحق في حرية الاختيار محدود بالاعتبارات الثقافية التي تحدد الأشخاص الذين من الممكن أن يكونوا الشركاء المرغوب فيهم إلى جانب هذه العوامل الثقافية هناك عوامل أخرى وهي بالأخص العوامل الاقتصادية والاجتماعية. (الخولي، 2006، صفحة 167)

4-1-1- النظريات التحليلية:

4-1-1-1- نظرية فرويد: يرى "فرويد" من خلال ملاحظاته العيادية أن النرجسيين يميلون إلى الزواج بأشخاص كفيلين، وأن الفرد كثيراً ما يقع في حب شخص معين، لأن هذا الشخص المحبوب أو موضوع الحب يمثل نوعاً من الكمال، حاول الفرد جاهداً أن يصل إليه لكنه فشل. ويقسم "فرويد" الاختيار السوي للشريك أو لموضوع الحب إلى قسمين، فهو يرى أننا في الاختيار للزواج نبحث إما عن شخص يشبهنا أو عن شخص يحميننا.

ويشير "فرويد" إلى أن الصبي في الظروف السوية يختار والده كموضوع يريد أن يكون مثله، كما أنه يختار أمه كموضوع يجب أن يتلقى منه الرعاية، وعلى ذلك فإنه يمكن التمييز بين اختيار نرجسي للموضوع، أي شخص أريد أن أشبهه أو أجعله يشبهني، وبين الاختيار الكفيلي أو التكميلي للموضوع.

نستنتج أن هناك ثنائية في الاختيار الواحد، فالطفل السوي لا يعتبر أباه الشخص الذي يريد أن يشبهه فحسب، بل أنه يعتبره أيضا الشخص الذي يمنحه القوة والحماية التي يحتاجها، في نفس الوقت فإن والدته لا تكون ذات أهمية إليه فقط لأنها تغذيه، بل لأنها تعد موضوعا يحاول أن يقلده، لكن العامل النرجسي يعدّ الأهم في علاقة الطفل بأبيه، لكن العامل الكفيلي هو الأهم والمتحكم في علاقة الطفل بأمه، والعكس صحيح بالنسبة لعلاقة الطفلة مع والديها، بذلك يكون اختيار الراشد لشريكته، أو موضوع حبه قائما على أساس كفيلي أو تكميلي في معظمه مع تحقيقه لبعض حاجياته النرجسية، لكنه يشبع معظم هذه الحاجيات النرجسية بعقد صداقات مع أبناء جنسه ويحدث ذلك أيضا بالنسبة لاختيار المرأة لموضوع حبه.

وقد كان تفسير "فرويد" للاختيار في الزواج على هذا النحو، هاديا للكثير من الباحثين والمحللين النفسيين الذين بنو على أساسه نظرياتهم وآرائهم، وسأعرض رأيين أو نظريتين ليس على سبيل الحصر، وإنما رأيهما تلائم هذا المقال.

4-1-2-نظرية الصورة الوالدية: يوجد من المحللين النفسيين الذين رأوا أن صور الوالد أو الوالدة تلعب دورا جوهريا في عملية الاختيار للزواج، وقد بني هذا الرأي على أساس من المفاهيم التي تدور حول كيفية نمو الشخصية وارتقاءها، وتتبنى هذه النظرية القول "بأن طبيعة العلاقات الانفعالية الأولى للطفل، هي التي تشكل شخصيته، فعن طريق اتصاله الأول في بداية حياته يتعلم كيف يحب ويكره، وكيف يرغب ويحسد، وكيف يتجنب ويقبل". وترى كذلك أن مشاعر البلوغ وردود الأفعال التي تحدث في علاقات الفرد مع الأشخاص المختلفين عن جنسه ما هو إلا معاشة من جديد أو ترديد لعلاقات الطفولة، ومشاعرها، لذلك فإن نوع الناس الذين تعلم الطفل أن يحبهم أو أن يكرههم وهو طفل، سيحدد إلى درجة كبيرة نوع الناس الذين سيحبهم أو يكرههم أو يتجنبهم وهو بالغ، ويكون للشخص الذي وقع عليه الاختيار كشريك للزواج ممثلا لوالدي الفرد أو مختلف عنهما أو عن أحدهما في السمات الجسمية أو الشخصية. (الساعاتي، 1981، صفحة 214/114)

بعبارة أخرى إن الفرد في طفولته المبكرة يكون علاقة عاطفية قوية مع واحد أو أكثر من الأشخاص الذين يكونون أسرته، وأن هذه العلاقة غالبا ما تكون عند الذكر، موجهة نحو الأم، وعند الأنثى موجهة نحو الأب، وأحيانا ما ينقلب هذا التشبث، فتكون استجابة الذكر العاطفية في أغلبها موجهة نحو الأب، وتكون استجابة الأنثى العاطفية في أغلبها موجهة نحو الأم، وعندما يبلغ الذكر أو الأنثى سن الرشد، فإنهما يميلان إلى إعادة تلك العلاقة وإحيائها مع من يحبون ويرغبون زواجا، أما إذا كانت تلك العلاقة غير مشبعة، فإنهما يتجهان إلى البحث عن شريك يشبعان في علاقتهما معه ما لم يستطيعا إشباعه أثناء الطفولة.

وهنا فإننا نلتصم الجذور الفرويدية لهذه النظرية على الاختيار في الزواج، وقد حاول "ستروس" اختبار هذه النظرية على الاختيار في الزواج، وقد وجد من خلال دراسته أن الجانب اللاشعوري هو الذي يحدد نوع الشريك، ويتمثل في الصور الوالدية وتأثيراتها على الاختيار وقد أدرج منها (الساعاتي، 1981، صفحة 214). ما يكون الشريك شبيها بالأب، أو كأن يكون اختيار الشريك المتأثر بعلاقات غير مشبعة بالأب. فقد تكون خبرات الفرد مع والده غير مرضية، أي حين يحرم الفرد صحبة الوالد من جنس المخالف فإنها تفقد الثقة في النفس خاصة في الجانب العاطفي، لذلك فإن الاختيار يكون وفقا لما كان ناقصا عند الولد من الجنس المخالف، أي يحتل الشريك مكانة الوالد، لذلك فإن هذه العلاقة مهمة والتي تتميز بالاستماع إلى الطفل ومشاركته مشاكله... أو كأن يكون اختيار الشريك المتأثر برد الفعل القوي والمضاد نحو الأب، ويحمل المشاعر الودية نحو الأم، حيث كان يرفض الفرد معاملة أحد والديه له في الصغر، كأن تختار البنت شريكا لها لأنها كانت في صراع مع والدها، في حين أنها لم تكن حبا لأمها، لأنها ساعدتها وأيدتها على هذا الصراع، بحيث كانت تمدّها بالتوجيهات والعون العاطفي وبذلك فقد وجدت البنت من الصفات ما كانت تفتقده في أبيها، أو أن يكون التشابه بين الشريك والأم، والمرتبط بصورة

مشبعة للأم، وصورة غير مشبعة للأب، فقد تختار المرأة شريكا يشبه أمها أكثر مما يشبه أبيها، وترى أن أبها سلطوي، أي على نقيض الأم، ولذلك فقد يكون الرجل الشريك لهذه المرأة في شبه مع الأم من ناحية الاهتمام والعناية..

إن رد الفعل العدائي تجاه كلا الوالدين وتأثيره على الاختيار، كأن تكون العلاقات غير مشبعة ولم يقم الوالدين بالاعتناء بولدهم، ويحرمانه الحب والحنان والاستماع والمشاركة، فكل هذا يؤثر على اختياره لشريك حياته، ويتصف بعد ذلك بمعاداته لوالديه ويصبح يبحث عن من يخلصه من هذه الحياة أو يبعده عنهما بالزواج. وبالتالي فالطفولة هامة جدا خاصة منها الأجواء الانفعالية بين علاقة الوالدين وعلاقتهما بطفلهما وكيفية تأثيرها في مرحلة الرشد والاختيار للزواج.

4-1-3-نظرية العوامل اللاشعورية في الاختيار للزواج: ترى هذه النظرية أن مصدر التعاسة الزوجية بين الرجل والمرأة يكمن في المفارقات التي توجد بين مطالبهما الشعورية واللاشعورية، تلك المطالب المتصلة بعلاقة كل منهما بالآخر وبالزواج بوجه عام، وتظهر تلك المفارقات في مرحلة اختيار الشريك.

ويرى "كيوبي" أن دور العوامل اللاشعورية في الاختيار للزواج يظهر بشكل آخر، في اختيار الشخص لمن يماثله أو يشبهه تماما، أو في اختياره لمن لا يشبهه على الإطلاق، وهذه الحالات ليست مجرد حالات عارضة، بل إنها تعتمد على التوازن بين الحب الشعوري لأننا أو الكره اللاشعوري لها في بناء كل شخصية، ويذهب "كيوبي" إلى أن الزواج لا يلغي عصاب الشخص، بل إن الذي يحدث في الزواج يضاف إلى عصاب الشخص إلى شخص آخر.

ويدرج "كيوبي" مثالا هاما في دراسته، أن فتاة فقدت أبها في سن مبكرة، وكان واضحا ذلك لدى كل أصدقائها وكان خافيا لها، وكانت مدفوعة بإلحاح إلى أن تجد في الزواج بديلا لأبيها وحليفا ضد أمها، وتزوجت برجل كان في مثل سن أبيها، لكنها اكتشفت أن هذا الزوج كان مجرد بديل فقط، واكتشف "كيوبي" أن هذه الفتاة كانت تبحث عن الأبوة أكثر من الأمومة، فانفصلا بعد أن اكتشفا ذلك مباشرة، ومنه يرى الباحث أن الدوافع اللاشعورية لها دور في الاختيار للزواج، وخاصة علاقة الأبناء في الطفولة بوالديهم، وفي غالب الأحيان يكتب للعلاقة الزوجية في مثل هذه الحالات أي الاختيار عندما يكون لاشعوريا، بالفشل، ومنه فإنه يرى أن القدرة على الاختيار السليم، تتوقف على العمليات التطورية التي يجب أن تبدأ في السنين المبكرة، والتي تؤثر في نضج الشخصية، ويجب أن يكون انسجام بين المكونات الشعورية واللاشعورية في الشخصية (الساعاتي، 1981، صفحة 238). ومن الأمثلة التي أدرجها كذلك، عن الشعور الأبوي والأمومي في أي علاقة بين الرجل والمرأة، وحين يكون هذا الشعور متصارعا يصبح هدفا لاشعوريا ويسيطر على الزواج، فإن كلا الزوجين يعارض هذا الدور الوالدي (أب-أم) الذي يحاول الآخر أن يرغمه على القيام به، ونهاية هذا الزواج هي الفشل.

يضيف "كيوبي" أن الحاجة اللاشعورية في استرجاع شيء من الماضي أو إزالة آثار آلام قديمة، قد تؤثر في الاختيار للزواج، ومثال على ذلك، أن فتاة كانت الطفلة الوحيدة والصغرى بين إخوتها الذكور، وقد نمت لتصبح فتاة شديدة الحساسية، تتحمل المسؤولية، خجولة وخائفة، كان أشقاؤها من النوع المستهتر الطائش المدمن على الخمر، وقد جعلوا بذلك طفولة أختهم بؤسا وشقاء من جراء سوء معاملتهم لها، فكان لها أن تزوجت من صديق مفضل لأخوها، وكان يشاركهما كل نزواتهما وأخطائهما، وقد تزوجته محاولة لا شعورية لمحو ما سببه لها شقيقها من ألم، أما هو تزوجها نتيجة ارتباطه الجنسي المثلي اللاشعوري لشقيقها، ففشلت الفتاة التي خاضت تجربة مؤلمة مرة ثانية مع زوجها الذي عرضها لنفس الآلام في الصغر.

نستنتج أن نظرية الصور الوالدية ونظرية العوامل اللاشعورية، تعمل مجتمعة وتتحكم في عملية الاختيار للزواج، فكلهما يجعلان الشخص يميل إلى اختيار من يكمل علاقة الاستجابة ونوعها، التي تعود على الإنسان منذ طفولته المبكرة في علاقاته الشخصية بأفراد أسرته خاصة (الأب والأم).

2-4- نظريه القيمة في الاختيار للزواج:

تعتمد نظريه القيمة على ان الفرد يختار شريك حياته بناء على قيمه الشخصية ومنظومة القيم التي كونها في داخلها، فيختار الشريك الذي يتوافق مع هذه القيم ويتقبلها ليوثر ذلك له الأمان الانفعالي والتوافق الزوجي وحيث ان القيم هي موجه أساسي للسلوك، فإن هذا يوجه الفرد أيضا إلى اختيار الشريك لتقديره لهذه القيم واعتزازه بها (الداهري ، 2008 ، صفحة 66).

3-4- نظريه التجانس:

تقوم على افتراض أن الشخص يتزوج بشبيهه فالتجانس هو ما يفسر اختيار الزوج لزوجته أو العكس، ويكون هذا التشابه ضمن عوامل متعددة منها العمر، السلالة، العقيدة، المستوى التعليمي أو الثقافي، المستوى الاقتصادي والاجتماعي. وقد تتعدى ذلك إلى التشابه في الشخصية والميول والاتجاهات والعادات السلوكية، فالشباب يفضلون الزواج من الشابات في مثل سنهم والكبار يفضلون الكبار خاصة بعد سن الخمسين، والرجل الناجح أو المتفوق في عمله أو حياته تتجه أنظاره نحو زوجة ناجحة. والتزاوج بين الطبقات الاجتماعية المتماثلة أو الطبقة الواحدة هو الغالب وهكذا. ووجهه النظر التي تقوم عليها هذه النظرية هي وجهه ثقافية واجتماعية. (الداهري ، 2008 ، صفحة 65)

5- التوافق الزوجي:

هناك محاولات عديدة لدراسة وتحديد نوع العلاقة الزوجية، وذلك باستخدام مفاهيم معينة مثل التوافق الزوجي، النجاح، الإرضاء، الثبات والسعادة والتماسك والتكيف والتكامل، كل هذه المصطلحات تشير إلى معنى نفسي يشير إلى الحالة النفسية لأحد الزوجين أو لكليهما، أو بمعنى اجتماعي – نفسي لتشير إلى (موقف العلاقة). (الخولي ، 1983 ، صفحة 196)

يمكن أن يكون الزوج ناجحا استنادا إلى مدى الإشباع الممكن الذي يقدمه وليس إلى ما يمكن أن نتخيله، وعلى ذلك يكون الزواج ناجحا: في حالة الإشباع الناجح، أو في حالة استمرار العلاقة أفضل من أي بديل آخر. ولكي يستمر الزواج هناك مؤشرين هما:

مؤشرات ما قبل الزواج: للتنبؤ بالتوافق الزوجي هناك مؤشرات تؤدي إلى ذلك. (الخولي ، 1983 ، صفحة 204) هي التعرف الذي يدوم أكثر من ستة أشهر، القدرة على التوافق الارتباط بالأب وثيق، لا يوجد الصراع مع الأب أو يكون قليلا، لا يوجد الصراع مع الأم أو يكون قليلا، تقارب المستوى التعليمي، الطفولة المشبعة، فترة الخطبة أكثر من عشرة أشهر، النضج الجنسي وثقافته. أما المؤشرات الزوجية فهي وجود رغبة في الإنجاب، السكن الفردي، وجود عمل، إشباع في العلاقات الجنسية والاستمتاع فيه.

6- التكافؤ بين الزوجين:

إن عوامل التكافؤ بين الزوجين، هي العوامل التي تحدد مدى موضوعية الزواج، ومدى قدرته على الاستمرارية، ويمكننا تقسيم هذه العوامل إلى: تكافؤ الطموح وهو في الأغلب تناقض طموحات الزوج مع الزوجة. تنافر الطباع فعوضا أن نتكلم عن السواء لأنه نصادف مشكلة في تعريف السواء لذلك فإننا نتكلم عن الطبع. وينقسم الطبع إلى: الشاذ جنسيا، السادي، الصرعي، الهستيري، التخشيبي، العظامي، الانهيار، الهوسي. ولكل واحد من هذه الطباع خصائصه ومميزاته، تجعله يلتقي مع بعض الطباع الأخرى ويختلف مع بعضها الآخر، ويؤكد صاحب تقسيم هذه الطباع وهو «سوندي» أن ذوي الطباع المتشابهة لا يتعايشون مع بعضهم البعض إلا في ظروف خاصة. وإذا كنا في مجال الحديث عن تنافر الطباع، فلا بد لنا الإشارة إلى التنافر المرضي للطباع، إذ أننا نصادف حالات عديدة بسيطة في طباعهم وهذه الاضطرابات قد تكون متوافقة فتدعم العلاقة، وقد تكون متنافرة فتحد منها أو من عمرها. (الخولي ، 1983 ، صفحة 168)

7- الفشل في استمرار العلاقة الزوجية او الدخول في وضعية الكدر

هو حالة الانهيار للوحدة الأسرية وانحلال الأدوار المرتبطة بها، عندما يفشل الفرد في القيام بأدواره بصورة مرضية. ومن خلال ممارستي العيادية، فهناك عدة أسباب للدخول في هذه الحالة نوجزها قبل الدخول بالتفاصيل إلى موضوع الكدر الزواجي وهي: ومنها ما يتعلق بالزوج ومنها ما يتعلق بالزوجة.

فقد نجد الزوج مليء بالكراهية لا يستطيع أن يحب، تعدد الزوجات، سوء معاملة الزوجة، عدم تحمله نفقات الأسرة، الخيانة، الفرق في السن، الانحطاط الأخلاقي وسوء السيرة، المرض، العقم، وتعذر العلاقات الجنسية، الإهمال لشؤون البيت، وعدم الطاعة.

كما نجد أن العامل الاقتصادي له أثر كبير، فمثلا تطور مركز المرأة الاجتماعي، عدم قيام الزواج على أسس واضحة، فقد يقوم على الحب أو على المنفعة أو التغيرير، أو التورط، الاختلاف بين الزوج والزوجة في نظرتهم للحياة، وطريقة العيش.

ويدخل عامل العادات والتقاليد والوضع الاجتماعي كذلك، وتدخل الأهل في شؤون الزوجين (الحماة) والتي تشكل أحد الحواجز المهمة التي تعترض العلاقة الزوجية، كما أن العلاقة المتينة التي تربط الأم بولدها تمثل غالبا العامل الرئيسي في ظهور الكدر. وفي دراسة قام بها "سلاتر فيليب"، أبرزت أن المجتمعات البشرية قد استعملت ميكانيزمات علاقة الابن بأمه بطريقة شديدة الفعالية، ويبرز أن المجتمعات التي تقيم رباطا زواجيا واهيا هشا تمنح أهمية خاصة لعلاقة الأم بالابن، والعكس صحيح.

أما بالنسبة للمجتمعات العربية والإسلامية، فإن العلاقة الزوجية مرتبطة بالأم كثيرا، كما أن حب الزوجة لا يلقى تشجيعا، والمرأة الوحيدة التي يكون للرجل الحق في حبها هي الأم، بحيث يكتسي هذا الحب صبغة عرفان بالجميل طيلة الحياة، وخاصة إذا عرفنا أن الأم هي في الغالب من يحدد الزوجة ويقوم بأولى الخطوات لعقد العلاقة أو الرابطة الزوجية، وهذا الحب لا يعرف حدودا زمنية.

حالة اللاتوافق الجنسي: يرى "جون لومير" أن أهم أسباب انفصال الزوجين تعود إلى عدم التوافق أو التطور غير المتوافق والمختلف لكلا الزوجين بعد الزواج، في الآراء، في المسؤولية وتوزيع الدور. كما يشير إلى أهمه العوامل الجنسية في الفشل الزواجي وعدم التوافق في الإشباع الجنسي. وأهم ردود الفعل التي تصيب الزوج هي: حالة الإحباط كذلك وهي أنواع وأشكال، حيث يبدأ كل من الزوجين يشير بأصابع الاتهام إلى الآخر، وبأنه هو السبب في فشل الحياة الزوجية، وهذا نتيجة اكتشاف العيوب حتى يصل كل منهما إلى درجة عدم التحمل، واكتشاف العيوب هذا يأتي لأن الزوجين كان لهما نظرة مثالية، وتعتبر عمياء كما وصفها "لومير"، فيصاب الطرفين بنوع من الصدمات في الحياة اليومية.

وهناك حالة عدم التفاهم، فلكل شخصية طريقة لمعالجة المعلومات، وأحيانا فإن هذه المعالجة تكون ذاتية بين الزوجين، وبالأخص هناك عناصر لا شعورية تتحكم فيها، وهنا ينتج عدم التفاهم ونتيجته تؤدي إلى الشعور بالاكنتاب.

كما أن الإهانة والإذلال لها دور في الوصول إلى التكدر فالإنسان في حاجة دائمة للتقدير وعادة يصاب أحد الزوجين بهذا الإذلال أو الإهانة، لأن الطرف الآخر لا يشجعه أو بالعكس فإنه يميل إلى الاستهزاء أو الضحك أو الإهانة أمام الناس أو حتى العنف الجسدي. (Lemaire, 1966, p. 76)

التحول إلى أداة حين يستعمل الزوج الزوجة أو العكس، كأداة أو وسيلة لأي غرض، وهي نوع من أنواع الأنانية حتى تتكون علاقة السيد بالعبد، ومنه يصل الزوج إلى رفض الآخر ويصاب بالإحباط.

فعدم التوافق الجنسي يرجع إلى نقص الحب بين الطرفين، وأحيانا إلى رفض الأنوثة، وعدم الشعور بالأمومة، كما أن الأمراض العقلية أو النفسية لأحد الطرفين، ومنها الانفعال الشديد والسريع ولأتفه الأسباب، الانفعال القهري (الاستحواذ)، والسادية...

وهناك حالات خطيرة ومختفية وهي منتشرة لكنها غير مصرح بها، وهي:

حالة الطلاق النفسي، وهو الطلاق غير المعلن للملأ، بل يكون أحياناً من طرف واحد والآخر يجهله تماماً، وله أنواع أخترها، ذلك الذي تمارسه المرأة كنتيجة لقناعتها بعدم أهلية زوجها للعب دور الرجل أمامها، فإذا وصلت المرأة إلى هذه القناعة فإنه يحدث الطلاق النفسي، وهذا قد يؤدي إلى، إما الخيانة والتلاعب بمشاعر الزوج، أو مباشرة إلى الخلافات المنعدمة المعالجة.

الزواج غير الممارس، وهو الذي يكون بدون علاقة جنسية وله أسباب أهمها العوائق الجنسية (العجز الجنسي لدى الزوج أو المهبلية أي عدم تحمل الملامسة المهبلية عند المرأة). أو قد تكون هناك عوائق جسدية (التشوهات الجسدية التناسلية، الشلل، القلب، القصور الكلوي، وكل الأمراض التي تعيق الممارسة الجنسية). أو بعض العوائق العاطفية (الاحتياج الجنسي الذي قد يلجأ إليه أحد الطرفين لأسباب نفسية، عاطفية في مقدمتها الصدمة العاطفية مثل الخيانة الزوجية أو الشك).

الأزواج المرضى، حيث تلعب خصائص المجتمع الدور الرئيسي في توجيه العلاقة الزوجية، وفي تحديد أطراف وشروط استمراريتها، وما يهم في هذه النقطة بالذات هو ثقافة الأسرة والمجتمع حول التفريق بين المرض الجسدي والمرض النفسي، والتفريق بينهما من ناحية كيف يرويه، ومن ناحية الكفالة. ففي الحالة الجسدية كل الأعراف الاجتماعية ترى من الواجب رعاية المريض وتقديم كافة التضحية في سبيل رعايته، وإذا حصل أي تقصير، فإن المجتمع والأسرة تدين وتتخذ مواقف حاسمة لذلك، ولكن الوضع يختلف في حالة المرض النفسي حتى في أشكاله البسيطة، حيث ينظر المجتمع بنظرة عطف إلى الطرف الذي شاء له القدر بأن يتزوج بمريض نفسي، بل حتى وأنه يتساهل في ضربه، وهذا الموقف غير منصف لا للرجل ولا للمرأة لكنه واقع، ويعتبرها الزوج أو الزوجة عارا، وأن لها أمورا تصل إلى الوراثة، وتسبب فيه الآباء، والخوف يمر إلى الأولاد، وكأن المرض الجسدي لا يورث، وأنه يمكن أن يشفى الإنسان من المرض الجسدي، أما المرض النفسي لا يشفى منه الإنسان !!.

8- الكدر الزوجي:

1-8- تعريف الكدر الزوجي :

إن أول من استخدم مصطلح Distress هو العالم هانز سيللي بمعنى أسى أو يؤس أو إنهاك (سيلاني 2000) وقد استخدم الباحثون العديد من الكلمات بوصفها ترجمة لهذا المصطلح مثل ضيق، هم، كرب، محنة، (زهران، 1997، صفحة 145)

الكدر الزوجي هو المعاناة التي تحدث بسبب العلاقات الزوجية المضطربة كالتواصل السيء، والجدال المدمر، والألم النفسي. كما عرفه جاكسون وآخرون بأنه عدم الرضا وضعف العلاقة الزوجية والمعاناة غير السعيدة، " (نوبيات، 2012، صفحة 41)، وقد عرفه فاشام بأنه عدم الرضا على العلاقة الزوجية من أحد الطرفين أو كليهما فتصبح الحياة الزوجية معاناة غير سعيدة في نظر أحد الزوجين أو كليهما. وعرفه جوتمان بأنه العلاقة السلبية بين الزوجين عندما يميلان لتبادل منخفض للسلوك المرضي السار، وتبادل مرتفع السلوك الغاضب.

وفي تعريف آخر فهو التباين في الأفكار والمشاعر والاتجاهات بين الزوجين حول أمر من الأمور، ينتج عنه أوجاع غير مرغوب فيها، تظهر الخلاف وتوضحه، ثم تحوله إلى نفور وشقاق وزيادة في الخلاف، فيختل التفاعل الزوجي ويسوء التوافق، وتضعف العلاقة الزوجية. (مرسي، 1991، صفحة 43) (نوبيات، 2012، صفحة 41) من وجهة النظر السلوكية الحديثة فإن الكدر الزوجي يعرف على أنه " عبارة عن تقديرات منخفضة لسلوكيات المتبادلة ومهارات حل المشكلات وتقديرات مرتفعة للصراع والسلبية المتبادلة، كما يتسم أيضا بمهارات تواصل ضعيفة وتقديرات منخفضة للأنشطة الترفيهية المشتركة".

أما الكدر الزوجي الذي تبنيه هو تلك التراكمات التي تنتج عن عدد من الصراعات والأزمات التي لا تحل في أوانها، وينتج عنها معاناة شديدة تصل في بعض الأحيان إلى النفور والهجران والطلاق النفسي إلى أن تبلغ ذروتها في طلب الطلاق أو الطلاق، وتنتهي بهم العلاقة إلى أن يصبح كليهما أو أحدهما يبحث عن منفذ أو مخرج أو مساعدة، يمكن له أن يستدرك ويسترجع علاقته الزوجية كأن ينتهي به الحال إلى المختص النفسي أو المعالج النفسي...

أشكال الكدر الزوجي:

صنف روجل 2003 Rugel أشكال الكدر الزوجي إلى خمسة أشكال وهي على النحو التالي:

• **نقص الدعم العاطفي والعمل:**

في هذا الشكل الشائع، تتقدم الزوجة للعلاج وتبدو أكثر كدرا وغضبا من الزوج، وتحمل مستويات عالية من الغضب المترسب عن خبرة نقص الدعم وشعورها أنها تتحمل أكثر مما تطيق في هذه العلاقة، حيث ينشأ الشعور بعدم المساواة، والتبذ داخل الزوجة، إذ يشكل نمطا من الشكاوى والنقد لزوجها، لأنه لا يقف بجانبها ويساندها ويدعمها، فتصبح استجابة الزوج دفاعية وانسحابية أكثر من أن تكون مساندة وداعمة كما يُتوقع، فتصعد الزوجة من هجومها فيما يشكل دائرة تدميرية داخل المنزل، وفي نمط آخر غير شائع يشعر الزوج بنقص الدعم والمساندة العاطفية ويشعر بالإهمال. بحيث يؤدي الزوج دور المرحب، المرح، خفيف الظل يبعث السرور في نفوس الآخرين ويسعدهم، وعلى العكس فإن الزوجة تكون أنانية متمركزة حول ذاتها وتتجاهل أو لا تشعر بمشاعر زوجها والزوج في داخله يرغب أن يكون مدعوما ويشعر بأنها تلبي احتياجاته، هنا يتشكل الاستياء الصامت داخل الزوج، ويتحول إلى غضب وانسحابات، وكل واحد منهما يحاول حل الكدر (الرغبات المتصارعة) بتقليل اهتمامات الآخر، ويحاول السيطرة والهيمنة على حساب الآخر وتكون النتيجة كدرا يؤدي إلى طريق مسدود (القرني، 2008، الصفحات 45-46)

• **العلاقة الثلاثية:**

تشير العلاقة الثلاثية إلى المواقف الزوجية التي يشعر فيها أحد الزوجين بأنه الجزء المعزول أو المبعد في علاقته بطرف ثالث ويدرك الأزواج العلاقة الثلاثية فيما يتعلق بقضايا الأسرة والأبوة فمثلا: قد ترى الزوجة أن الزوج شديد في تطبيق النظم والمبادئ، فتميل إلى حماية الأطفال، فتقوم بتخريب محاولات الزوج لتربية وتأديب الأبناء، فيشعر بأنه يعامل بعدم احترام من قبل زوجته وأبنائه وقد يشعر بأنه معزول أو مبعد من حياة أسرته.

(القرني، 2008، الصفحات 46-47)

• **التحقير والتصعيد السلبي:**

هذا الشكل يميز الزوجين بالاندفاعية ورد الفعل الانفعالي الشديد، هذا يعني عدم القدرة على ضبط النفس مع سرعة التأثر انفعاليا. إن الملاحظات الاتهامية والتحقيرية تأخذ شكلا من التفاعل السلبي المتبادل، إن إدراك أحد الزوجين لملاحظة تحقيره تهدد تقديره لذاته، وتدفعه لحماية ذاته، وذلك بتوجيه ملحوظة تحقيرية مما يؤدي إلى التصعيد السلبي.

• **التواصل الغير مباشر:**

في هذا الشكل يعاني الزوجان أو أحدهما من نقص التوكيدية وال فشل في التواصل بصورة مباشرة، لذلك بتجنب كل منهما الدخول في الصراع. في حين يوجد بعض منهم قد تميز بالأنانية والتمركز حول الذات، وغير قادر على الاهتمام بالآخرين، لأن إغفالهم لحاجات الآخرين سابق للعلاقة الزوجية ويصبح متعاطفا بصمت الطرف الآخر، منسحبا وعدوانيا سلبيا. وفي نمط آخر يكون الأزواج مرتابين وكتومين ويزعمون أنهم لو عبروا عن

احتياجاتهم بحرية فإنهم لن يحصلوا على ما يريدون، فيحجبون المعلومات عن زوجاتهم ونتيجة لذلك يشعر الطرف الآخر بالنبذ والخيانة، لذلك ترتفع مستويات الشك. وفقد الثقة بالآخر.

• فقدان العشرة والعاطفة والألفة:

كلما تدهور الزواج، نقص تكرار الأنشطة الممتعة بين الزوجين، يجد كل منهما العذر لتجنب الآخر، وأنها مشغولان جدا مع الأطفال أو أنها مرهقان، كذلك يتجنبان التعبيرات العاطفية ولا يستخدمان الأسماء والألقاب المحببة مع بعضهما البعض، ويختلقان الأعذار بتجنب النوم في غرفة واحدة، فمثلا إذا كان أحدهما "يشخر" أو يتقلب عند النوم فإن الآخر يبحث عن غرفة نوم أخرى كثير من الأزواج قد يجدون إشباع حاجاتهم العاطفية خارج الزواج أو يلجئون إلى الطلاق إلا أن بعضهم قد يبقون معا رغم أنهم متكبدون وتباین الأسباب، منها المنافع التي يجلبها الزواج لبعضهم أو يكون عدم رضاهم لنقص الألفة والود، لكنهم لم يتمتعوا بالألفة والود في أسرهم الأصلية، لذلك لا يتوقعون الكثير في هذا الاتجاه، أو يحافظون على زواجهم رغبة في الأطفال أو للضمان المالي أو خوفا من مواجهة العالم الخارجي بمفردهم. (القرني ، 2008، صفحة 49)

2-8- مظاهر الكدر الزوجي:

إن أول مظهر للكدر الزوجي يمكن الاستدلال به على ذلك هو ارتفاع نسب الطلاق في كل المجتمعات والبلدان سواء كان الطلاق مبكرا والذي يشير إلى عدم المحاولة في إيجاد الحلول للصراعات أو الأزمت، أو كان الأمر متعلقا بالطلاق المتأخر، أي بعد سنين من العشرة الزوجية. والهجران، والطلاق التعسفي، والطلاق النفسي. كم تدل على ذلك كثرة الاضطرابات السيكوسوماتية كالسكري والضغط والأمراض الجلدية والقلب والقولون العصبي وبعض السرطانات وتضخم الدرقية...كم ينتشر الاكتئاب والإدمان على الكحول والمخدرات واضطرابات القلق.

فالعلاقة الزوجية خلال دورة الحياة تمر بالعديد من الأزمت، فمن النادر أن تكون حياة الأسرة والزواج متكاملة طوال دورة حياتها. (الخولي ، 2006، صفحة 252) ويقصد بالأزمة بين الزوجين هو ظهور عائق يمنعهما أو يمنع أحدهما من إشباع حاجات أساسية، أو تحقيق أهداف ضرورية أو تحصيل حقوق شرعية. فيشعر بالحرمان والإحباط ويدرك التهديد وعدم الأمن في علاقته الزوجية وينتابه القلق أو الغضب في تفاعله الزوجي ويسوء توافقه مع الطرف الآخر. (مرسي ، 1991، صفحة 200).

وإن سوء التوافق الزوجي يظهر في الاتصال الغير الفعال وفي النظرة السلبية الانتقائية لسلوكات أزواجهم وكذلك من خلال البنية المعرفية السلبية للعلاقة. أما فيما يخص الاتصال الغير الفعال، فإن الأزواج الذين لديهم مشكلات ينتقدون بعضهم البعض ويفشلون في الاستماع بفعالية لبعضهم البعض ويميلون للانسحاب ولا يستخدمون أسلوب حل المشكلات الإيجابي، فهناك دائما نفس الصراع ونفس المواضيع (بيلمهوب ، 2006، صفحة 68)

لقد حدد بيك 1988 Bek في كتابه " الحب وحده لا يكفي" عددا كبيرا من مشكلات يقول: أحيانا نفشل في التعبير عن مشاعرنا أو بشرح ما نريد قوله، معتبرين أنه على الطرف الآخر أن يكون له القدرة على فهم إشارتنا الداخلية والغير لفظية، إذا كان فعلا يحبنا، وأحيانا أخرى نعتقد أننا نعرف في ماذا يفكر الطرف الآخر ونقفز إلى نتائج خاطئة. (بيلمهوب ، 2006، صفحة 66)

إن الأزواج غير السعداء ينظرون إلى أزواجهم نظرة سلبية مقارنة بالأزواج السعداء، فهم غالبا ما يرجعون بصورة انتقائية السلوكات السلبية لأزواجهم وينسبون هذه السلوكات السلبية إلى خصائص ثابتة وشاملة من الشخصية. ففي العلاقة المتوترة عندما يدخل الزوج متأخرا فإن الطرف الآخر يدرك هذا السلوك أنه شخص أناني عموما، لا يهتمه أمر العائلة بينما في العلاقة المرضية يدرك على أنه شخص يبذل مجهوداً جباراً من

أجل العائلة، وعلى ذلك نجد أن الأزواج متوترين يستجيبون لإدراكاتهم الذاتية في تفاعلهم الزواجي والتي غالبا ما تكون مشبوهة.

وفي آخر مظهر من مظاهر تكدر العلاقة الزوجية وهو البنية المعرفية السلبية للعلاقة، بحيث تتميز عند الأزواج الغير السعداء بالشعور السلبي حول العلاقة وتاريخها، عكس الأزواج السعداء فهم يتميزون بالمشاركة والإدراك الإيجابي للعلاقة وتاريخها، إذا فكل الأزواج يميلون لإدراك وتذكر أحداث العلاقة بينهما بطريقة تتناسب مع المعرفية لعلاقتهم. (بيلمهور ، 2006 ، صفحة 69)

3-8- عوامل الكدر الزواجي:

• العوامل الشخصية:

من بين العوامل الأساسية التي يمكن التطرق إليها في أول هذا العنصر هي العوامل المرتبطة بالشخص وهي التي تظهر في أفكاره وأفعاله فيما يتعلق بالاختيار، أي أن الاختيار يتم وفق مبادئ داخلية تتعلق بالاشعور تتعلق بالرواسب الشخصية وعلاقاته وارتباطاته ونوعية تعلقاته بمواضيعه الأولية أو مواضيع حبه الأولي وقد تكلمت نظرية التحليل النفسي كثيرا عن هذا الارتباط الذي يكون فيما بعد بمخيلته وتصورات له لأن الذي يجب أن نعلمه أن كل أفعال الشخص مرتبطة بأفكاره وتصورات وتلك الأفكار تكون مختفية ولا يعرف مصدرها للطرف الآخر ويمكن أن يعطيها تفسيراً ظاهرياً يعود إلى عوامل اجتماعية واقتصادية أو مهنية أو علائقية مرتبطة بالأصدقاء أو العمل...

وكما نعلم في التحليل النفسي فإن كل الصراعات التي لم تحل في الطفولة أو العلاقات الغير مشبعة في القديم يتم البحث عنها من جديد في علاقة مشابهة أي أنها يمكن أن تحيا في أي وقت من الأوقات فقط تنتظر الأسباب المفجرة والزواج يشبه العلاقات القديمة أو الدخول في علاقة زوجية والتعلق أو هو الدخول في علاقة حب مع موضوع حب جديد.

• العوامل السلوكية:

إن السلوكيات السلبية كالشتم والصراخ والانفعالات السلبية، ترتبط سلبا بالرضا الزواجي، في حين السلوكيات الإيجابية ترتبط إيجابيا بالرضا الزواجي وفي هذا السياق يرى السلوكيون أن اقتسام الإيجابية عند الأزواج السعداء مماثل لوضع حساب في البنك مع مرور الوقت يتكون استقرار في مستوى القرض، مما يسمح للطرفين عدم تبادل السلبية وبالعكس الأزواج غير السعداء الذين لديهم تبادل ضئيل في التبادل الإيجابي فإن قرض حساب علاقاتهم سيكون ضئيلا أو منعدما وبالتالي فإنهم يميلون إلى تبادل السلبية. لقد وجد جوتمان (Gottman 1993) أن هناك سلوكيات سلبية هي من أكثر العوامل التي تنبئ بتفكك العلاقة كالسلوك الدفاعي للزوج والشكوى والانسحاب وانتقاد الزوجة فهي مرتبطة بالطلاق، كما وجد أن هذه السلوكيات مرتبطة ببعضها البعض والتي يصفها بعملية التدرج حيث يؤدي الانتقاد إلى الشكوى والتي تؤدي بدورها إلى الدفاعية والتي تؤدي إلى طريق مسدود. (بيلمهور ، 2006 ، الصفحات 110-111).

• العوامل المعرفية:

اعتبر المعرفيون أن من أهم ميزات العلاقة المضطربة البنية المعرفية السلبية للعلاقة، حيث عبر الوقت يطور الأشخاص إدراكا عاما للطرف الآخر وعلاقتهم حيث تتميز الاعتقادات حول العلاقة أو البنية المعرفية عند الأزواج السعداء بالمشاركة والإدراك الإيجابي للعلاقة وتاريخها، وفي حين تتميز عند الأزواج الغير سعداء بشعور سلبي حول العلاقة وتاريخها فكل الأزواج يميلون لإدراك وتذكر أحداث العلاقة بطريقة تتناسب مع بنيته المعرفية للعلاقة.

ولقد أكد فينشام (1994) (Fincham) على الارتباط القوي بين مختلف أنواع الإنتسابات والرضى عن الزواج فالأزواج الذين يكون انتسابهم سلبيا لسلوك الطرف الآخر هم الأكثر توترا في علاقتهم بمعنى آخر الأزواج السعداء يدركون بصفة انتقائية تفاعلات العلاقة على أنها إيجابية بينما يدركها الأزواج التعساء على أنها سلبية. (بيلمبوب ، 2006 ، الصفحات 112-113)

• الاختلاف في توقعات الأدوار:

قد يكون توقع الزوج من زوجته أن تساعدته وأن تتعاون معه وأن تحافظ على نفسها وماله وأن تقف إلى جانبه في الملمات وألا تفشي أسرارهم وقد يأتي دورها عكس ذلك، وهي قد تتوقع منه أن يكون مرحا ورحيما ومتفهما يساعدها في أعباء المنزل والوقوف معها في الملمات، وقد يأتي دوره عكس ذلك أيضا يسهم في سوء التوافق الزوجي بينهما (العزة ، 2000 ، صفحة 73).

• مشكلات مرتبطة بالأهل:

الأهل جزء أساسي في حياة أي أسرة، سواء كانوا أهل الزوج أو أهل الزوجة، إلا أن كثيرا من المشاكل تنشأ نتيجة تضارب علاقة الزوجين بأهلهم. إن المشاكل تظهر عندما يصر تطبيق نتائج تجاربهم الخاصة على حياة أبنائهم بالرغم من اختلاف الأحوال والزمن والشخصيات فقد يتدخلون في طريقة التعامل المادي بين الزوجين، فأهل الزوجة يخشون أن تضيق حقوق ابنتهم فيضغطون عليها للتعامل مع زوجها بطريقة معينة يرونها تحفظ حقها ويحدث نفس الشيء من أهل الزوج، فهم يخشون سيطرة الزوجة واستئثارها بأموال، ابنهم حتى لو لم يكونوا في حاجة إلى معاونته وهنا تبدأ المشاكل، فكل طرف يرفض تدخل أهل الطرف الآخر ويعتبر أن أهله هو لا يتدخلون بل ينصحون من أجل تحقيق مصلحة الأسرة الجديدة، وتزايد المشاكل وتلقى بظلالها على هذه الأسرة حديثة التكوين. (العشماوي ، 2007 ، الصفحات 38-39)

*

العوامل الاقتصادية:

يرى ألدركاسبي (1988: Caspi&Elder) أن الضغوط الاقتصادية والضائقات المالية تحدث اضطرابا في أساليب المعيشة وطرق السلوك المألوفة، وخاصة عندما يحدث اختلال التوازن بين متطلبات وحاجات الأسرة وبين الموارد اللازمة لتحقيق هذه المطالب والحاجات. كما يشير كونجر وآخرون (1990: al&Conjer) إلى أنه بالرغم من أن المعاناة الاقتصادية لها التأثير القوي والمباشر، على سلوك الأزواج أكثر من الزوجات، وبالرغم من أن المعاناة الاقتصادية تؤثر سلبا على الأزواج فيصبحون أكثر عدوانية، وأقل مساندة لأبنائهم إلا أنه يرى أن زيادة مشاعر العدوانية ونقص مشاعر الدفء لدى الزوجات ليس نتيجة مباشرة للمعاناة الاقتصادية، ولكنها بالدرجة الأولى غير مباشرة، وذلك من خلال التغيرات السلبية التي تحدث في سلوكيات الأزواج نتيجة لمعاناتهم الاقتصادية. (بيلمبوب ، 2006 ، صفحة 100) بذلك فإن المعاناة الاقتصادية من العوامل التي تكدر صفو الحياة الزوجية، في اتجاه العدوانية، ونقص مشاعر الدفء السلبية اتجاه الأبناء.

• اضطراب العلاقة الجنسية:

يعد الزواج هو العلاقة الوحيدة التي تمكن الإنسان من ممارسة العلاقة الجنسية بصورة مشروعة والإشباع الجنسي هو أحد الدوافع التي يسعى إلى تحقيقها الفرد بالزواج. (سليمان وحسن، 2011، صفحة 17). يرى كيردك (1991: Kurdeck) أن الجنس مثل الكريمة التي توضع فوق الكعكة في العلاقة الجيدة فإذا كانت العلاقة جيدة فإن الجنس يزيد من استقرارها ويرفعها إلى اعلى مستوى ولكن إذا كانت العلاقة ضعيفة فإنه لا يجدي زيادة الكريمة لإنقاذها، فالرضي الجنسي غالبا ما يرتبط بالرضي الكلي عن العلاقة، فالجنس هو جزء من الكيفية وليس المكون الوحيد (بيلمبوب ، 2006 ، صفحة 126).

• ضعف التواصل بين الزوجين:

إن ضعف قدرة الفرد على التعبير عن أفكاره ومشاعره من أكثر العوامل التي تعيق بناء علاقة جيدة مع الآخرين، وتعتبر العلاقة الزوجية شكل من أشكال التواصل، ويبنى نجاحها على النجاح في عملية التواصل بين الزوجين، فالاتصال الزواجي الجيد المحرك الأساسي لإدارة العلاقة الزوجية التي تعكس مدى التوافق والصحة النفسية لكلا الزوجين.

ويشير جوتمان (Gottman 1994) إلى أن التواصل بن الطرفين يجب أن يبنى على الاحترام المتبادل، وتقدير كل طرف للآخر ليؤدي في النهاية إلى اتخاذ قرارات مشتركة حول موضوع النزاع. ويعتبر ضعف التواصل سببا في زيادة مستوى الضغوط النفسية لدى الزوجين، وانخفاض مستوى التكيف الأسري، وارتفاع مستوى العنف الأسري.

• الاختلاف في التوقعات:

تنبثق هذه التوقعات من القواعد التي تحكم العلاقة بين الزوجين، بعض هذه القواعد أو التوقعات واضحة مثل «على الزوج تأمين مستلزمات البيت» وبعضها ضمني مثل «على الزوج أن يقلل من مستوى علاقاته أهله وأصدقائه، وأن يخصص وقتا أكثر للزوجة (الرشدان، 2010، صفحة 434) إن كل من الزوج والزوجة يحمل توقعات حول دوره وحول دور الشخص الآخر، فالزوج لديه توقعات تتعلق بدوره وتوقعات تتعلق بدور زوجته، وكذلك الزوجة لديها توقعات حول دورها وتوقعات حول دور زوجها، وإذا ما اتفقت التوقعات بين الزوجين سارت الحياة الزوجية دون مشاكل أو صراع، أما إذا اختلفت هذه التوقعات فهذا يزيد من فرص التوتر والقلق والإحباط والصراع بينها (الرشدان، 2010، صفحة 435)

4-8- سلوك الزوجين أثناء الصراع:

تعتبر تجربة الصراع مؤلفة لكلا الزوجين تتضمن ممارستها مجموعة من الأنماط السلوكية المؤذية ويرافقها مجموعة من المشاعر المؤلمة التي من شأنها زيادة مستوى الصراع والفجوة والكدر بينهما، وتتلخص أكثر الأنماط السلوكية شيوعا بين الأزواج خلال فترة الصراع فيما يلي: الصراخ والتحدث بصوت مرتفع، عدم الاحترام، تبادل التهم، المقاطعة في الحديث، الصمت، التهرب، الاستسلام، وعادة ما يرافق هذه الأنماط السلوكية مجموعة من المشاعر المؤلمة أهمها: الغضب، الخوف، الحزن. يترتب على استمرار حالة الصراع بين الزوجين مجموعة من التنافر السلوكية والانفعالية التي تؤثر سلبا على الزوجين، وعلى طبيعة العلاقة بينهما وتتلخص أهم هذه النتائج فيما يلي: انقطاع التواصل وعدم الرغبة في الحديث، الانعزال، اضطراب النوم، اضطراب الأكل، المزاجية في التعامل، استخدام العنف، الخوف، الشك وعدم الثقة بالآخر، العصب، التشتت وعدم التركيز، الانغماس في العمل أو النشاطات المختلفة، الإحباط وخيبة الأمل، الاكتئاب، الاضطراب النفسي، الطلاق.

إن تعرض الزوجين أو أحدهما باستمرار وبشكل متكرر لهذه النتائج كفيل بأن يجعلهما يعيشان في حالة غير متناهية من التعاسة والشقاء والتي بالضرورة ستنعكس على أطفالهما والمجتمع بشكل عام (الرشدان، 2010، الصفحات 436-437)

5-8- بعض التفسيرات العلمية للكدر الزواجي:

5-8-1- التفسير التحليلي:

يرتبط العلاج النفسي الدينامي بنظرية العلاقات الدافعة ويعلم النفس التحليلي التي ترى بأن علاقة الشخص بالآخرين تعتمد وبشكل أساسي على العلاقات المبكرة لذلك، وفي العلاج الأسري ينظر إلى الشخص ذو العلاقات المضطربة مع أسرته، على أنه حامل لمرض العلاقات الفاشلة، من أسرته الأصلية، إلى أسرته الجديدة (زوجته وأولاده). وفيما يرى فرويد أن إشباع الغرائز يعتبر حاجة أساسية فإن المحللون الآخرون مثل كلين

وفيربيرن اعتبروا أن وجود علاقة مرضية مع الموضوع أكثر قوة، ويقصد بكلمة موضوع في هذا المقام الناس، وعدم قدرة الشخص على تكوين علاقة مع أسرة الأصلية يؤثر على تكوين أسرة جديدة، وفي نفس السياق التحليلي قدمت كارين هورني تصورا ممتدا للعلاقات الأسرية السوية والمرضية، وتعتبر أن فقدان الهوية أكثر حدوثا في الأسرة التي توصف بأن الصلات بين أفرادها وثيقة جدا، ولا توجد فيها ثغرة يمكن النفاذ منها. وفي مثل هذه الأسر المتصقة والمتلاصقة فإن العضو الذي يناضل في سبيل الفردانية قد يقاوم بشدة ضد الحب والألفة التي يحتاج إليهما. لأنه يدرك أن الالتصاق يعتبر تهديدا بالابتلاع، علما بأن الصحة النفسية والتوافق يتطلبان أن يشعر الفرد بأن المساعدة والعون موجودان ومتاحان إضافة إلى شعوره بالاكتمال الذاتي، وبأنه قادر وكفاء. وإذا ما كان دافع الطفل إلى تحقيق الاستقلال الغير فعال فإن شعوره بذاته كشخص مستقل له كيانه قد يضعف إلى الأبد، وقد لا يجد الطفل أمامه إلا احتمالين علائقيين فقط: إما عزلة كاملة منكرة لأي تعلق بالآخرين، وإما سلبية كاملة واعتمادا عليهم، وكلا الاحتمالين يهدر إمكانيات الفرد ووجوده الإنساني الأصيل. هذا هو منبع الصراع والتوتر في الأسر التي تعتبر أسرا سوية، بمعنى أنها تؤدي وظائفها على نحو حسن، ولا توجد تفاعلات مرضية أو شاذة بين أفرادها. ومنه نقول إن الأسر السوية يستطيع أفرادها أن يؤدوا وظائفهم على نحو طبيعي إذا نجحوا في حل معضلة، الاتصال والانفصال، وأن يشبوا على علاقات متوازنة مع الآخرين ليسوا معتمدين عليهم، وليسوا نافرين منهم، وإنما يتفاعلون تفاعلا سويا إنسانيا واجتماعيا متبادلا. أما الأسر التي تعاني من التفاعلات العلائقية غير السوية، فإن أفرادها أو بعضها منهم على الأقل يكونون عرضة لنمو غير صحي، وفي الاتجاه اللاسوي. (كفافي ، 2009، صفحة 314).

ويمكن أن نلخص التوجه السيكودينامي بأنه يركز على مبدأ السببية، ويعتبر أن العوامل الباثولوجية في العلاقة هي عوامل داخلية نفسية خاصة بالفرد.

8-6-1- التفسير السلوكي:

يشير باترسون (Paterson 1970) بأن التبادل السلبي يتم بصورة تراكمية في التفاعلات، والسلوكيات اليومية بين الزوجين، إذ يدرك أحد الزوجين أو كلاهما أنه يبذل جهودا كبيرة في سبيل تعزيز وتقوية العلاقة الزوجية ويخرج صفر اليدين من دون أي إثابات وجدانية وعاطفية، ومن ثم تزداد الفجوة العاطفية عبر الزمن نتيجة الإحباط الذي يصيب أحد الزوجين في حين يستطيع بجهد اقل أن يحصل على إثابات متبادلة من علاقاته خارج المنزل فيما يعرف بالتبادل السلوكي الإيجابي، وبغض النظر عن الرضا الزوجي، فإن التبادل الإيجابي يزداد عبر الزمن. فالزوج الذي يعطي إثابات، أي إحساسا بالسعادة والود والقبول والاحترام سوف يأخذ في المقابل هذه الإثابات، وإذا رغب في الزيادة فعليه أن يكون سخيا في العطاء. Rathus and Sanderson. 1999.15 (القرني ، 2008)

قد توصل الباحثون أمثال هالويك وآخرون (Halwest 1984) إلى أن الأزواج المتكدرين يميلون للاستجابة لسلوك شركائهم الغاضب بسلوك غاضب مماثل، ويتصاعد هذا التبادل السلبي استجابة للسلوكيات المنفرة.

من ناحية أخرى فإن الأزواج غير المتكدرين اقل تبادلا للسلوكيات السالبة ويفضلون تقديم الثواب لبعضهما إلى بعض بمعدلات متكافئة ويميلون إلى تبادل السلوكيات الإيجابية على أساس التعزيز الإيجابي، مثل السلوك الذي يزيد من احتمال حدوث السلوك الذي يسبقه، مثل: الشكر والذي يقوم على نظام الضبط الإيجابي. وتؤدي التبادلية السلبية لدى الأزواج المتكدرين إلى نتائج العقاب، وهذه التركيبة من السلوكيات الإيجابية القليلة والتبادلية السلبية تؤدي بالزوجين للكدر الزوجي (القرني ، 2008، صفحة 90).

برغم الاعتراف بأهمية ماضي التعلم للزوجين فإن المعالجين في هذا المنظور التقليدي يركزون على الأحداث الحالية التي تؤثر بصفة مستمرة على التفاعلات بين الزوجين، من منطلق أنه يمكنهم تغيير التعلم الماضي للفرد، ولكن يمكنهم، من جهة أخرى ممارسة التأثير على تفاعلات حالية، أو مستقبلية فـالعلاج يهدف قبل كل شيء إلى تغيير الأحداث التي تنتج في المحيط الحالي للزوجين، ولهذا السبب فإن المنظور السلوكي التقليدي هو سياق، وهذا ما يجعله في النواحي الأخرى قابلاً للمقارنة مع التناولات العلاجية المشتقة من نظرية النظم. (بيلمبوب، 2006، صفحة 188)

9-6-2- التفسير المعرفي:

هناك خمسة أنواع معرفية خاصة بالعلاقة الزوجية:

- الادعاء وهو الاعتقادات الأساسية حول طبيعة العلاقات الحميمة والسلوكيات الزوجية والتي تتكون لدى كل الأفراد، بناء على مجموعة من التجارب الحياتية من خلال الملاحظة أو المشاركة في العلاقات، يمكن لهذه الادعاءات ان تصبح مصدراً للمشكلات عندما تبني على معلومات محدودة أو غير دقيقة وبالتالي غير ممثلة للزواج بالشكل المراد لزواج الشخص نفسه. (بيلمبوب، 2006، صفحة 229)
- المعايير وهي ما يراه الفرد من آراء حول ما يجب ان تكون عليه العلاقة مثل احترام الآخر وعدم إساءة معاملته. وللمعايير وظيفة إيجابية للحياة الزوجية. فهي تزود الزوجين بتوجيهات أخلاقية لتطبيقها، بعضها إلى بعض مثال معاملة بعضهما البعض باحترام وتجنب السلوك العدواني (العنف) كما يمكن أن تؤدي المعايير للكدر بين الزوجين إذا اعتقد الزوجان أو أحدهما معايير غير حقيقية، أو كانوا غير راضين عن تحقيق معاييرهما في حياتهما الزوجية. فقد أثبتت دراسة ب وكوم وآخرين (1990) أن درجة رضا الزوجين عن تحقيق معاييرهما في الزواج كانت أقوى دليل على الرضا الزوجي بدلا من الاختلافات في المعايير بينهما. ويرى ريدوس وساندرسون (1999). Rathus and Sanderson) أن الزوجين اللذين يحملان معايير خاصة لكل منهما يستخدمان مصطلحات مثل (يجب، ومن المفترض)، وقد تساعد بعض المعايير في المحافظة على الحياة الزوجية كحالة تبني معيار مثل (على الأزواج أن يظلوا مخلصين وصادقين) كما يمكن أن تتسبب المعايير في الكدر بين الزوجين عندما يشعر أحدهما بأن معاييرها لم تتحقق، ويحدث ذلك إذا كان المعيار غير حقيقي. (القرني، 2008) وتكمن المشكلة عندما يبالغ طرف أو كلاهما في معايير غير واقعية أو عندما يكونان غير راضيين عن توافق معاييرهما حول العلاقة. فقد وجد بوكوم (1996) Baucom) زواجي أن درجة رضى الفرد بمدى تحقق معاييرها في الزواج هو عامل تنبؤ للتوافق الزوجي أكبر من عامل الفرق بين معايير الزوجين.
- لكل فرد له معايير تحدد نموده الشخصي فمثلا الآباء عليهم أن يعتنوا بأطفالهم ويتجنبوا الإساءة لهم). وعندما تكون المعايير غير واقعية أو سلبية فإنها تؤدي لحصول مشاكل، فعندها يكون لدى الفرد معتقدات حول كيف يجب أن يكون العالم أو الناس فإن هذا يؤدي لإصابة الفرد بالإحباط والألم إذا لم تكن الأمور كما يريد أن تكون. (Epstein, 2003)، (الرشدان، 2010)

- التوقعات وهي الخلاصات التي يضعها الأزواج حول مستقبل العلاقة وسلوكيات الزوج أو الزوجة حيث تكون التوقعات غير متكيفة عندما تعتمد على معلومات أو اعتقادات غير دقيقة مثلا: رفض الاختلاف حيث لا يبدي الفرد ملاحظاته خوفا من دفاع الطرف الآخر ضد الانتقاد. فالتعبير عن الاختلاف معناه النقد. (بيلمبوب، 2006، صفحة 230).

- الافتراضات حيث يرى سيلر (1984) Seiler) أن الافتراضات هي: المبادئ والمعايير التي يصنف على أساسها الفرد الأشياء والأحداث التي يحل بها المشكلات، والتي يطلق عليها مصطلح: "البنية

المعرفية"، وللافتراضات وظيفية رئيسية وهي أنها تتيح للفرد استخلاص معلومة مهمة من المثيرات الخارجية التي تواجهه في موقف ما، وتهيئه سريعا لاستقبال المواقف الجديدة، فإذا أخذنا الحياة الزوجية، على سبيل المثال، نجد أن الفرد منا يرتبط لديه مفهوم الزوج بافتراضات معينة، كذلك مفهوم الزوجة. فقد يرى زوج ما أن مفهوم الزواج لديه يرتبط بمفاهيم معينة كالتعاون والحب والإحساس القوي بالمسؤولية، كما يرتبط مفهوم الافتراضات أيضا بالكدر الزوجي لاسيما السلبي منه، وذلك عندما يرى الزوج أو الزوجة في زواجهما جوانب سلبية، ويرتبط الكدر الزوجي بالدرجة التي يفترضها الأشخاص بالنسبة لعدم قدرة الأزواج والزوجات على تغيير الحياة الزوجية (Baucom and Epstein 1990) (القرني 2008، صفحة 104)

● **العزو وهو أن الأزواج المتكدرين يقرون أن أسباب تصرفات الزوج سلبية شاملة وثابتة عكس الأزواج السعداء الذين يرون أن أسباب السلوك الإيجابي لدى الزوج أكثر ثباتا وشمولية.** كما ان لدى الأزواج الذين يعانون من الكدر الزوجي ميلا إلى إلقاء اللوم على الشريك عند كل موقف زواجي سلبي (Baucom et al, 1989, Stander et al 2001) (القرني 2008).

والعزو السببي هو الأسباب التي يعزو إليها الزوجان ظهور الكدر ويرتبط العزو بجودة الزواج حيث يؤدي العزو السلبي إلى الكدر الزوجي، وقد اكتشف براد بوري وفن شام (Brad bury and Finchman 1990) أن المتكدرين زوجيا يكثر من العزو السببي السلبي في مواقفهم الحيوية وذلك مقارنة بغير المتكدرين زوجيا. يشتمل العزو السلبي السببي لدى المتكدرين زوجيا على أفكارهم حول سلوك الزوج المشكل، حيث يرون أنه ناتج عن عوامل داخلية ثابتة، وشاملة كتلك المعروفة لدى المكتئبين، ويشتمل عزو المسؤولية السلبي على رؤية سلوكيات الشريك غير المرغوبة على أنها بدافع الأنانية، وأنها مقصودة وتستحق التوبيخ ويتأثر العزو السلبي السببي بالمعايير والافتراضات، والتعلم السابق، ويؤدي إلى تضخيم الكدر الزوجي، وتخفيض قيمة التعزيز والتقليل من جهود الشريك في تحسين العلاقة (Rathus, and Sanderson, 1999) (القرني 2008، صفحة 101)

الاستنتاج العام:

انطلاقا مما سبق من رصد نظري، يمكن أن نستنتج من خلال الممارسة العيادية، العلاقة بين الاختيار للزواج والسقوط في وضعية الكدر الزوجي، وذلك من بعض الأفكار المتضمنة لدوافع الاستشارة أو الكفالة أو المساعدة النفسية التي جاء من أجلها الزوج أو الزوجة لطلب المساعدة النفسية في الأصل، والتي كانت تتضمن مسببات الكدر الزوجي والتي أوعزت إلى الاختيار الزوجي في أحيان كثيرة.

وكإجابة على التساؤلات المطروحة مسبقا، وهي في مجملها تتضمن أن الزوج أو الزوجة قد ندموا أو فشلوا في اختياراتهم أو أنهم لم يكتشفوا ذلك إلا بعد زمن من العلاقة الزوجية، كما أن بعضهم قد أصيب بنوع من الخداع وخيبة الأمل التي كان ينتظرها أو يتوقعها الزوج أو الزوجة. يمكن استخلاص النتائج العيادية التالية:

- الاختلاف في رؤى الحياة الاجتماعية الثقافية والاقتصادية والدينية. وكمثال جاء في عملنا العيادي من أحد الأزواج قولها "مناش كيف كيف نهائيا هو في جهة وأنا في جهة تحشات لي وندمت على رأيي"

- تقييد الحرية ومحاولة امتلاك الزوج أو الزوجة. فهناك بعض الرجال من يقر بذلك في قوله: "حبتي نكون ملكها ما قدرتش نتنفس في كل ساعه في كل يوم تقول لي وين راك رايح، وين كنت، ماكش تجي راك تطول، يلاه نروحوا مع بعض، يلاه نخرج مع بعض، ما هيش نتاعي هذه المرأة، ما كنتش نظن بلي نكون كيما هاك، مع الوقت وليت ما نحملش كل يوم الدواس، لازمني ندير حل ونهني هذه العلاقة حسيت باللي راني مع عسكري ولا تقول بوي"، هناك زوج آخر يقول: "حببت نتزوج باش نلقى الحرية ولكن طحت في نفس المشكل اللي كنت فيه مع الأم نتاعي ما تخلينيش لا نخرج ولا نحس بحريه وش ندخل تقول لي هات كيما هذه اللي راها عندي".

- السيطرة الذكورية على الزوجات، هناك زوجات من لم يستطعن العيش في علاقة زوجيه لا تحترم المرأة والنسبة إليه أي الرجل، المرأة شيء ثانوي، مثلاً تقول زوجة: "يا لطيف من الرجل اللي راني معاه ما نقدرش نقول كلمه وياخذها بين الاعتبار يتحكم في كل شيء، حتى في أمور الكوزينة، أنا كان أبي لا يتدخل ولا يدخل المطبخ"، ثم تبكي عندما تتذكر علاقة الأب مع أمها..
- الإحباط من طرف الزوج أو من طرف الزوجة. أتذكر جيداً أن بعض الأزواج يقولون: "أي حاجة يحضرها أو يعملها أو تحضرها أو تعملها تقابله أو يقابلها بالتعليقات المدرية لا يشجع طرف الآخر في أي أمر يقوم به أحد الطرفين وكأنه يشبه الأب أو تقول كأنها أمي،" ما تعرفيش ديري ذيك الحاجة" وما تعرفش تدير حتى حاجة".
- المنافسة الذكورية للرجل، كأن يقول بعض الرجال: "راني حاس روجي مع راجل مانيش حاس روجي مع امراة، تقول لي كيما تخرج نخرج كيما عندك صحابك لازم تشوفهم لازمني أنا ثاني نشوفهم..".
- الثورة على الأدوار أو أعاده المفاوضات حول تقسيم الأدوار بين الزوج والزوجة، يقول بعض الرجال: "تفاهمنا على حاجة قبل الزواج مثلاً الخدمة الخرجة تربية الذراري، هذه الصوالح كامل ولات ما كانش بعد عامين من الزواج، قالت لي انت ثاني لازم تعاوني في صوالح الدار وفي تربية الذراري مثلاً وهذه حاجة ما نقبلهاش خلّاتني نندم على اختياري مع أني اخترتها تعمل ولكن تفاهمنا باش توفق بين العمل والدار لكن تقلبت الأمور..."
- خيبة الأمل لكلا الطرفين من توقعات الزواج أو العلاقة الزوجية، مثلاً زوجة تقول: "كنت نتوقع في حاجة وما لقيت حتى حاجة، كنت نتوقع باللي نعيش كيما عاش بوي.."، الرجل يقول: "كنت نتوقع باش نعيش كي عاشت أمي مع بوي ..."، آخر يقول: "كنت نتوقع باش تعاوني على أمور الدنيا ولكن لا جدال مع عملها أو مالها، كي نحب ندير حاجة تنفعنا في زوج تقول لي دبر راسك..."
- الخوف من الالتزام والهروب من المسؤولية واستقالة أحد طرفي الزواج، هناك زوجات صرحن كالآتي: "الراجل اللي راني معاه غير ملتزم بأمور المنزل ومهرب دائماً من المسؤولية مخلي لي كلش على ظهري دائماً هارب ودائماً غائب ما قدرتش نتحمل malgré وعدني باش نتعاونو بعد الزواج..."
- الشك المرضي، يقول بعض الزوجات: "إن الشك هو من أجل الغيرة والحب، لكن هذا شك نتاع واحد مريض"، هناك بعض الأزواج الرجال يقولون: "راني مع وحدة مريضة، تراقبني في كل شيء في مكالماتي وفي جيوبي وفي حتى في الريحة اللي نديرها..."، وهناك زوجات يصرحن على أن الأزواج الذين هم معهم يشكون في كل شيء المكالمات، الخرجات، أجواء العمل، كل شيء ناهيك عن الهاتف الذي هم مسيطرون عليه كل يوم يراقبونه "إنه جحيم لم اكن انتظر هذا راني ندمانة اللي ما عرفتش هذا الشيء قبل الزواج مع ان علاقتنا دامت قبل الزواج ثلاث سنوات واختيارنا كان من محض إرادتنا..".
- الخيانة الزوجية، هناك زوجات يقولون: "كان يحبني قبل الزواج واخترته لهذا الحب ولكنه بمرور الزمن، اتضح أنه يخونني (بكاء) وصبرت ولكن للصبر حدود وكأن مدة صلاحيتي انتهت، يؤنّبني ضميري كل يوم على سوء اختياري..".
- احتقار الزوج لزوجته بسبب فقرها أو حسنها أو جمالها أو العكس، يصرح بعض الأزواج على هذا العنصر وتراكماته فتقول زوجه مثلاً: "دائماً يحتقرني لأنني فقيرة بالنسبة إليه"، وأخرى تقول: "يحتقرني لأنني ضعيفة بالنسبة إليه في جاهه وحسبه ونسبه، كما أنه أحياناً يقول لي مراكيش زينة ولا ما تشبهي لوالو.."، كما أن بعض الرجال يقول: "المرأة نتاعي تحتقرني وتقول لي ألفاظ كما أنت حتى حاجة ولا شيء، تاريخكم يقول كنتم فقراء وما عندكمش لا حسب ونسب ومرات تقارني وتنمر علي على شكلي..".

- مقارنة الزوج لنماذج زواجية في ذهنه أو في واقعه أو قد تكون افتراضية والعكس، مثلا زوجة تقول: "زوجي دائما يقارن زواجنا بأصدقائه" وأخرى تقول: "زوجي يعيش في مثالية وعالم آخر، شوفي مرت فلان شوفي مرت فلان شوفي كيفاش عايشين.."، هناك أزواج يقولون: "زوجتي تقارني بأصدقائها وصديقاتها وأنا ما تحتملتش مع اني كنت نوصيها قبل الزواج أننا لا نشبه أحد ولا نقارن حياتنا بأخرى ولكن..."
- الزوج العنيد أو الزوجة العنيدة، يقول بعض النساء: "بصراحة راجلي مشاحني يا حفيظ... لا يطاق" أو قد تكثر عند الرجال فيقولون: "أنا نكره المرأة المشاحنية أنا نشفى لامي jamais شاحنت بوي"، وهناك زوج قال بصريح العبارة: "جابهوا لي أنا ما خيرتهاش وأنا أصلا نكره المرأة المشاحنية.."
- الزوج الذي يبحث دائما عن إثبات نفسه عبر المال والعمل، ويهمل الجانب العاطفي والحب أو العكس، "الزوج نتاعي لا يهمه أي شيء تحاللو فقط في الخدمة والدراهم نحسه باللي حاب يبين روحه jamais يسقسيني على كيفاش راكي دايره ولا يقول لي حاجة حنيئة ولا كلمه حب ولا راني توحشتك، طول الدنيا وهو في الخدمة برك الخدمة الخدمة الخدمة كرهت حياتي حببت نكون مع راجل صحيح لازم يخدم بصح شويه... (بكاء).
- الزوجة المظهرية التي تستعمل وتستثمر الآخر لتعيش، أو الزوجة السطحية والانتكالية مع زوج عاطفي، مثلا: "المرأة نتاعي ما ديرش حاجة بلا بيا معناها فنيانة.. بالصبح في حاجة دارهم ولا ضياف ولا كاش مناسبة تلقاها تنوض وتقعدها ما يهمهاش واش كايين لداخل في الدار ولا كايين شي حاجة تخصني يهمها فقط باش يشوفوها الناس ولا يشوفوها دارهم ولا الجيران، وأنا إنسان نحب واحد يسقسي عليا كيفاش راني داير واش نحتاج... ما يهمش المظهر، أنا نشفى لي كانت مهتمة ياسر ببوي تسقسي عليه تقول له مرحبا ما ديرونجيش قع... وين راها هذيك النساء"
- والزوج المظهري الإنتكالي والسطحي المعتمد دائما على الآخر مع زوجة عاطفية، مثلا: "الزوج نتاعي لا يهمه أمري المهم لازم نكونوا قدام الناس في أحسن شكل، زيد بزيادة واحد الفنان ما تتصورش ampoule ما يبدلهاش في الدار ولا كان شي حاجه فزدت يحوسني كلش أنا نديرو، أنا نشفى لبوي كان قايم بالدار أي حاج' تخسر يخدمها أي حاجة نحتاجها يجيبها لنا ولا يجيبها لي يا حصراه على بوي.."
- الاختلاف في الفهم وتأويل الأحداث أي الزوجان لا يفهمان بعضهما البعض لا في وقت الضحك ولا وقت الحزن ولا وقت اللعب ولا وقت العاطفة...، مثلا تقول زوجة: "هذه سنين واحنا متزوجين ومازال ما يعرفش وقتناش نضحك وقتناش نحزن وقتناش نلعب ولا وقتناش نحب نسمع كلمه مليحة...، كانت ماما تعرف بابا من خزره من geste من حركه من همسه.."، زوجة أخرى تقول: "نحسو يضحك عليا مرات دارهم ويهبط لي من قيمتي قدامهم.. نتفكر بابا كان داير قيمة كبيرة لما كان دايروها فوق الرأس"، زوج آخر يقول: "ما تعرفش وقت نكون énervé وهي تجي تلعب ولا تتمسخر، اللي ما يقدرش ظروف في أوقات صعبة ما نحتاجوش... هذا اللي يجيبولو امرة وما يعرفهاش ولا ما يخبرهاش.."
- الرؤى المستقبلية المتعارضة، يسقط الزوج أو الزوجة سلوك الحاضر على المستقبل أي أنه عندما يوافقها في رأي ما أو مهمه ما أو خروج أو نزهة أو مزحة أو حزن... فستعتاد على ذلك وهذا ما يؤرقهم وسبب لهم الصراع الذي أدى بهم إلى وضعية الكدر، مثلا: "ما تولف ما التلف" أو "ما تحل عين ميت ما توحد في تغماضها" بعض الوصايا والأمثال والحكم تستطيع هدم الحياة الزوجية، هناك أزواج يصرحون: "تحوس تركبتي يمالا ما نولفهاش باش ما نوحلش من بعد وفي الحقيقة راني واحل وصاوني قالوا لي ما تولفش لمرأة"، في نفس الوقت قد تعتمد الزوجة على أفكار سيئة أو وصايا أو تجارب مر بها آخرون عكرت أو أنهت حياتهم الزوجية، أو أصبحت بذلك الزوجة "عبدا" للزوج فلا تقوم ببعض الواجبات أو العادات أو الأدوار كي لا يعتاد الزوج على ذلك حسب ظنهن. مثلا: "قالولي

ماتولفيش الراجل يحرث عليك، ولفته على شي حوايج بصح راح فيها طول، اختي التي طلقت ولفت رجلها وخلها تكون عبد مش زوجة وقبلا رايحة نلحقها"

- وهذه هي النقطة الهامة كذلك في إنتاج الكدر، فالتجارب السيئة التي مر بها كلا الزوجين كحادثه الطلاق في العائلة أو زوج سيطرت عليه زوجته أو سيطر عليها زوجها أو حتى التجارب الفردية كروية أب الزوج كيف يتعامل مع أمه وكيف رأت الزوجة أبها يعامل أمها، أو العكس رؤية الزوجة كيف عاملت أمها أبها، أو كيف عامل أبوها أمها، وتصبح هذه الأفكار والتجارب كمراجع بالنسبة لطرفي الزواج. فاتخاذ الزوج أو الزوجة مصادر ومراجع فاشلة لحياته الزوجية ظنا منه أنه النموذج الناجح، (كأن يتخذ الزوج صديقا مرجعا له أو أخيه أو أبوه، وكأن تتخذ الزوجة مرجعها ومصدر إلهامها صديقة أو أخت أو أب أو أم).

- تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الحياة الزوجية، كالتأثر بالمكالمات الهاتفية أو المكوث زمنا طويلا على وسائل التواصل الاجتماعي سواء على الهاتف أو جهاز الكمبيوتر...، أو التأثر بالصفحات والمجموعات أو حتى بالأفلام والوثائق المثالية أو الدرامية، مثلا زوج يقول: "هذي راها قع ما تنحش التليفون من يدها ولا وذنها..."، آخر يقول: "تظل لاصقة في التلفزيون ولا تتفرج في الأفلام وتحوس تكون كيماهم ولا تحوس تعيش حياتهم ما فهمتش..."، آخر يقول: "سبة المشاكل نتاعي هو الفيسبوك هو اللي خلاها تحل عينها اثروا فيها صحباتها تبات قاعده مرات..."

- الزوج الماغن جنسيا أو الفج أو العكس، والمقارنة بين الحقيقة والخيال خاصة على الصفحات والمواقع الإباحية، وهنا يحدث العجز والفقر وعدم الإشباع المتبادل والإرضاء ويؤدي ذلك إلى الكدر، مثلا هناك بعض الزوجات يعانن من إدمان أزواجهن على المواقع الإباحية كما أنهم يستعملون عبارات فجة وغير لائقة خاصة أمام الأولاد، أو أثناء الجماع: "يحوسني نكون كما الخماج اللي يظل يشوف فيه هذا الشيء مانيش قابلاتو..."

- إقحام الزوج أو الزوجة في جو ثقافي وعاداتي وتقاليدي لا يعرفها الطرف الآخر أو لا ينتمي إليها طرف، ومحاولة الآخر إرغامه على قبولها بالقوة، وعندما تتكرر وتتراكم فهذا ينتج نوعا من الاشمئزاز أو الكره أو الملل، ولكن يصل الوقت إلى أن يرفض طرف هذه العادات والتقاليد، وعندما يصبح الكدر عنيفا فقد يسيء الطرف إلى الآخر رغم أنه كان يسايره لزمنا طويل على ذلك، وبعد رفض واحد قد ينسى كل المرات التي سايره الطرف الآخر في ذلك، وخاصة عندما يكون الأمر متعلقا بالقبول الحتمي أو بالقوة، أي سلب الحرية في الاختيار، أو عدم الاستشارة على ذلك والأخذ بعين الاعتبار أوقات المرض والتعب ومحاولة إيجاد وقت آخر لهذه المناسبات. مثلا زوجة تقول: "زوجي لا يكره ولا يمل العروض كل يوم ضيف كل يوم مناسبة كرهت... مع أني لم أرفض له طلبا منذ تزوجنا، واحد النهار برك مرة واحدة قلت له مانيش قادره.. قلب عليا الدنيا ونسى قع الخير اللي درتوا فيه..."، زوجة أخرى تقول: "كرهت عاداتهم وتقاليدهم خلاص هذه مدة وسنين وأنا أنفذ له طلباته لحق الوقت اللي ما قدرتش فيه وهو ما تفهمش..."، زوج آخر يقول: "الزوجة نتاعي عندهم تقاليد وعادات ما نعرفهاش وما نحبش تكون في حياتي مشيت معها مرات ومرات ولكن خلاص كل يوم مناسبة كل يوم مناسبة هذا زواج هذي طهارة هذي عادة كل يوم في دارهم راه عندهم ضياف عندهم تقليد عندهم طقوس خلاص مع اني مشيت معها مرات ومرات بان الوجه الحقيقي نتاعها في وحد المرة رفضت باش نروح معها قلبت عليا الدار بالعياط والدواست معايا قدام الذراري ونايفتني... مرات الانسان يعود مش لاهي ولا رافض الفكرة راه كان يطاوع برك بصح هي ما تفهمتش... آآآآ خلاص ذرك".

الخاتمة:

نستنتج ومن خلال الدراسة الميدانية والممارسة العيادية، أن الاختيار للزواج والكدر الزوجي هما في الكثير من الأحيان في علاقة طردية أي أن الاختيار مهما كان نوعه مرتباً أو شخصياً عند الحالات التي تداولت على العيادة النفسية أو عند الحالات التي طلب منها الدخول في مشروع التكفل بحالتها المتكدرة، يسبب سلوكيات غير محببة في العلاقة الزوجية وينتج عنه سلوكيات وأفكار مشينه تستطيع أن تهدد مسار العلاقة الزوجية، فالندم واللوم وتآنيب الضمير هي من بين الحالات التي تولد سلوكيات عنيفة وأفكاراً خاطئة وسلبية حول الزواج والعلاقة الزوجية ومستقبل العلاقة.

والكدر الزوجي ليس سببه الاختيار في كثير من الحالات، بل سببه عدم النضج النفسي والانفعالي والجنسي لمن قام بالاختيار، لأن الكثير من الحالات استطاعت أن تقر أو تصرح على أنهم كانوا لازالوا في طور النضج، ولهذا فإنهم يعززون فشلهم وكدرهم في هذا العنصر.

فيتطلب من المقبل على الزواج أن يكون أولاً، ناضجاً نفسياً وجنسياً وانفعالياً وقادراً على تحمل مسؤوليات وصعوبات الزواج لما قد يعيقه أو يواجهه من مشاكل وأزمات. كما يجب أن يكون بعد النضج قادراً على تحمل المشاكل والاستطاعة على مواجهتها وحلها بصوره ناضجة لا تفكر في نفسها فقط بل تفكر في الشريك الذي هو معه وكذلك أحياناً يفكر في مستقبل الأولاد إن وجدوا.

يجب أن يعي المقبل على الزواج أنه سيلتقي بفرد يحمل توظيفاً نفسياً مغايراً عن توظيفه النفسي، وبنية نفسية أخرى، ورغم هذا الاختلاف فإنه يمكن أن يلتقيا ويتعايشا ويحتويا بعضهم البعض، وهذا يتطلب إمكانيات نفسية معرفية وسلوكية كبيرة.

تتحمل الأسرة الكثير من المسؤولية في تربية أولادها، فيجب أن تكون العلاقة الزوجية الأصلية (الأب والأم) للزوج والزوجة على قدر كبير من التوافق والتبادل والإشباع لكي يتمكن المقبلون أولادهم على الزواج أن يكونوا في توافق وتبادل وإشباع مع شريك حياتهم المستقبلي.

على المهتمين بالعلاج الأسري وعلاج الأزواج أن يعوا ويأخذوا بعين الاعتبار هذه المرحلة قبل الزواج، ويجب الحديث عنها لكي يفهموا ويدركوا العلاقة التي كان فيها الزوج، نوعها وكمية إشباعه، لكي يستطيعوا أن يساعدوا الزوج على تخطي الكدر وعدم وصوله إلى الطلاق.

قائمة المراجع:

Géraud, R. (1967). *L'éducation sexuelle des adultes*. Paris: union général d'édition.

Lemaire, J. (1966). *Les conflits conjugaux*. Paris: ESF.

Lemaire, J. (1980). *Le couple: Sa vie et sa mort. La structuration du couple humain*. Paris.

الخولي، وس. (1983). *الزواج والعلاقات الأسرية*. بيروت: دار النهضة العربية.

الخولي، وس. (2006). *الأسرة والحياة العائلية*. مصر: دار المعرفة الجامعية.

الداهري، وح. (2008). *أساسيات الإرشاد الزوجي والأسري*. عمان: دار الضفا.

الرشدان، وع. (2010). *الإرشاد الأسري، مشكلات العلاقة الزوجية وأساليب المساعدة فيها*. الأردن: المجلس الوطني لشؤون الأسرة.

الساعاتي، وس. ح. (1981). *الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي*. بيروت: دار الفكر العربي.

السبيعي، وع. (1985). *سيكولوجيا الأمومة ومسؤولية الحمل*. بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

السعداوي، ون. (1994). *دراسات عن المرأة والمجتمع في المجتمع العربي*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العزة، وح. (2000). *الإرشاد الأسري نظرياته وأساليبه العلاجية*. عمان: دار الثقافة.

العشماوي، وع. (2007). *تأملات في الزواج*. القاهرة: العربي للنشر.

القرني، وم. س. (2008). *تصميم برنامج سلوكي علاجي معرفي للتخفيف من الكدر الزوجي*. الرياض: جامعة الإسلامية الإمام محمد بن سعود.

بيلمهوب، وك. (2006). *الاستقرار الزوجي دراسة نفسية*. الجزائر: منشورات الخير.

زهران، وح. (1997). *الصحة النفسية والعلاج النفسي*. القاهرة: عالم الكتب.

- سليمان ،أ & .حسن ،خ .(2011). الكدر الزوجي وعلاقته ببعض السمات الشخصية لدى المتزوجين بمحلية كرري .مجلة دراسات الاسرة . 17 ,
كفافي ،ع .(2009). علم النفس الاسري .عمان :دار الفكر .
مرسي ،ك .(1991). العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الاسلام وعلم النفس .الكويت :دار القلم .
نويبات ،ق .(2012). علاقة الكدر الزوجي بكل من الصحة النفسية والرضا عن الحياة لدى عينة من المتزوجين ، اطروحة دكتوراة .ورقلة :جامعة قاصدي
مرباح .

- Arabic references in English:

- Khoul, S. (1983). *Marriage and Family Relations*. Beirut : Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
- Khoul, S. (2006). *The Family and Family Life*. Egypt: University Dar Al- Marifa
- Al-Daheri, H. (2008). *Fundamentals of Marriage and Family Counseling*. Amman: Dar Al-Safa.
- Al-Rashdan, A. (2010). *Family Counseling, Problems of Marital Relations, and Methods of Assistance*. Jordan: National Council for Family Affairs.
- Al-Saati, S. H. (1981). *Marriage Choice and Social Change*. Beirut: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Al-Subai, A. (1985). *Psychology of Motherhood and Pregnancy Responsibility*. Beirut: United Distribution Company.
- Al-Saadawi, N. (1994). *Studies on Women and Society in the Arab World*. Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing.
- Al-Azza, H. (2000). *Family Counseling: Its Theories and Therapeutic Methods*. Amman: Dar Al-Thaqafa.
- Al-Ashmawi, A. (2007). *Reflections on Marriage*. Cairo: Al-Arabi Publishing.
- Al-Qarni, M. S. (2008). *Designing a Cognitive Behavioral Therapeutic Program to Reduce Marital Stress Levels*. Riyadh: Imam Muhammad bin Saud Islamic University.
- Belmohub, K. (2006). *Marital Stability: A Psychological Study*. Algiers: Al-Habr Publications.
- Zahran, H. (1997). *Mental Health and Psychotherapy*. Cairo: Alam Al-Kutub.
- Slimane, A., & Hassan, K. (2011). *Marital Stress and Its Relationship with Certain Personality Traits Among Married Individuals in the Karari Area*. *Family Studies Journal*, 17.
- Kafafi, A. (2009). *Family Psychology*. Amman: Dar Al-Fikr.
- Morsi, K. (1991). *Marital Relations and Mental Health in Islam and Psychology*. Kuwait: Dar Al-Qalam.
- Nwaibat, Q. (2012). *The Relationship Between Marital Stress, Mental Health, and Life Satisfaction Among a Sample of Married Individuals: PhD Thesis*. Ouargla: Kasdi Merbah University.